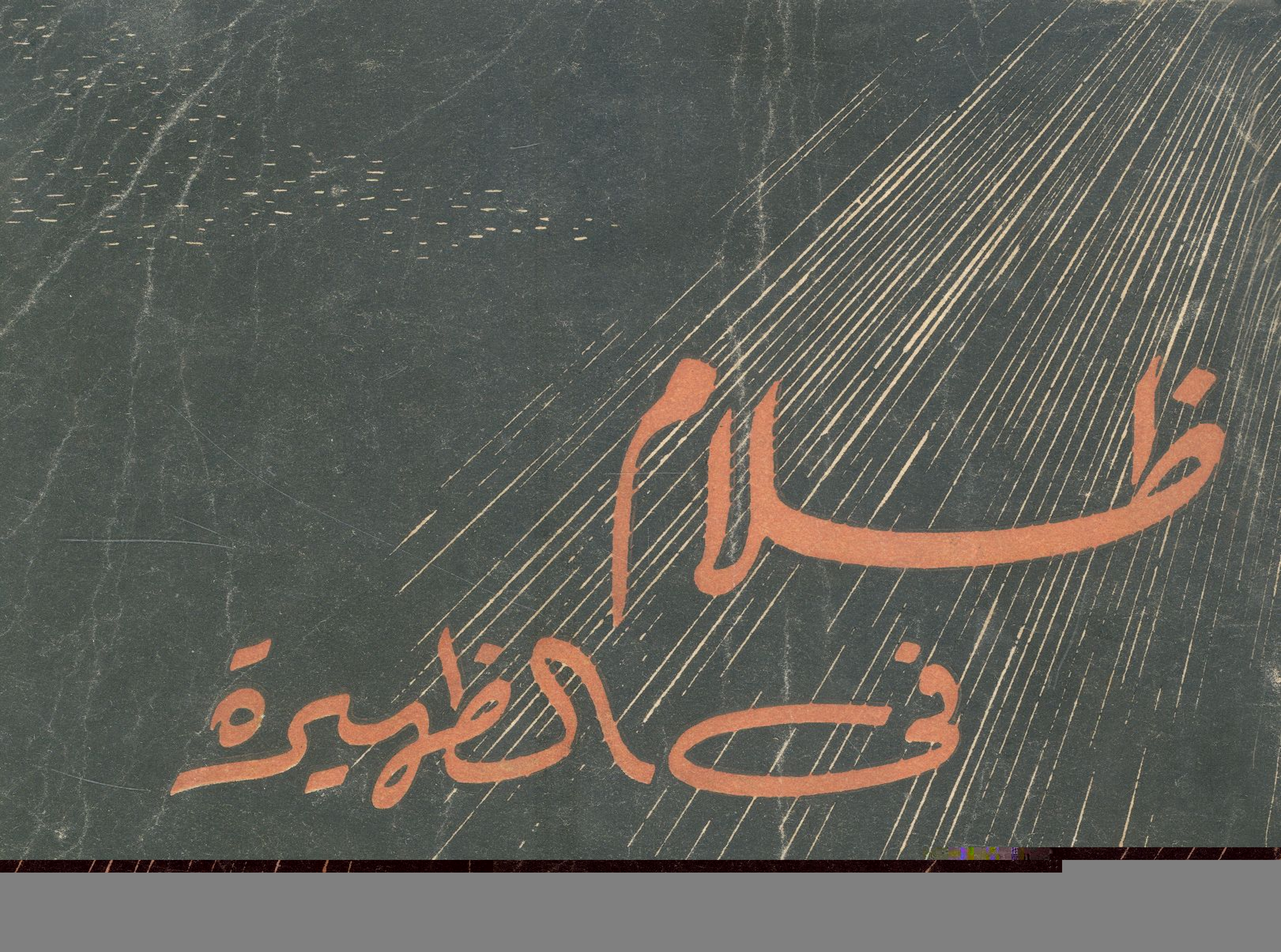

ظلام
في الظهيرة

Darkness at Noon

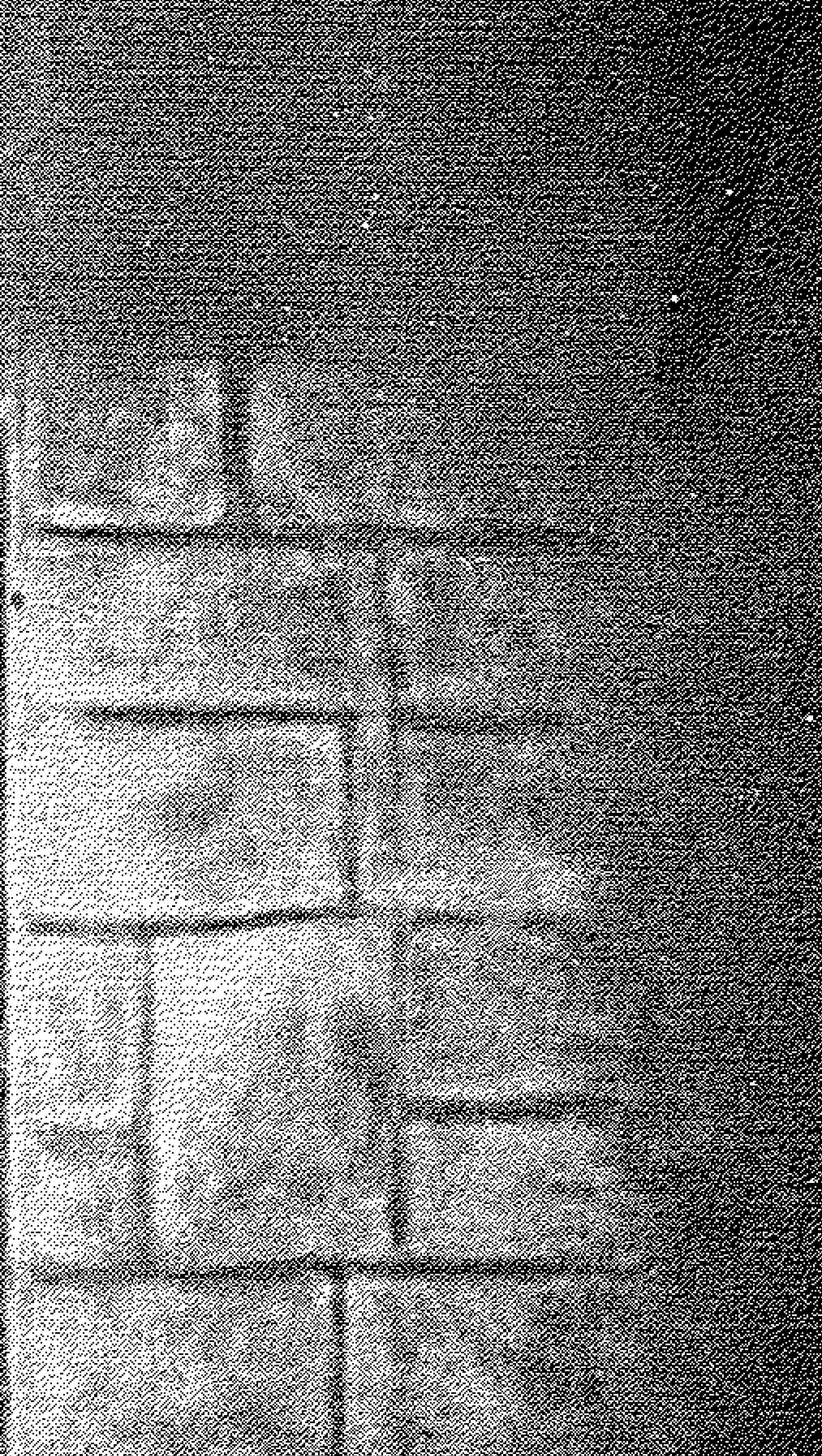
A Play by

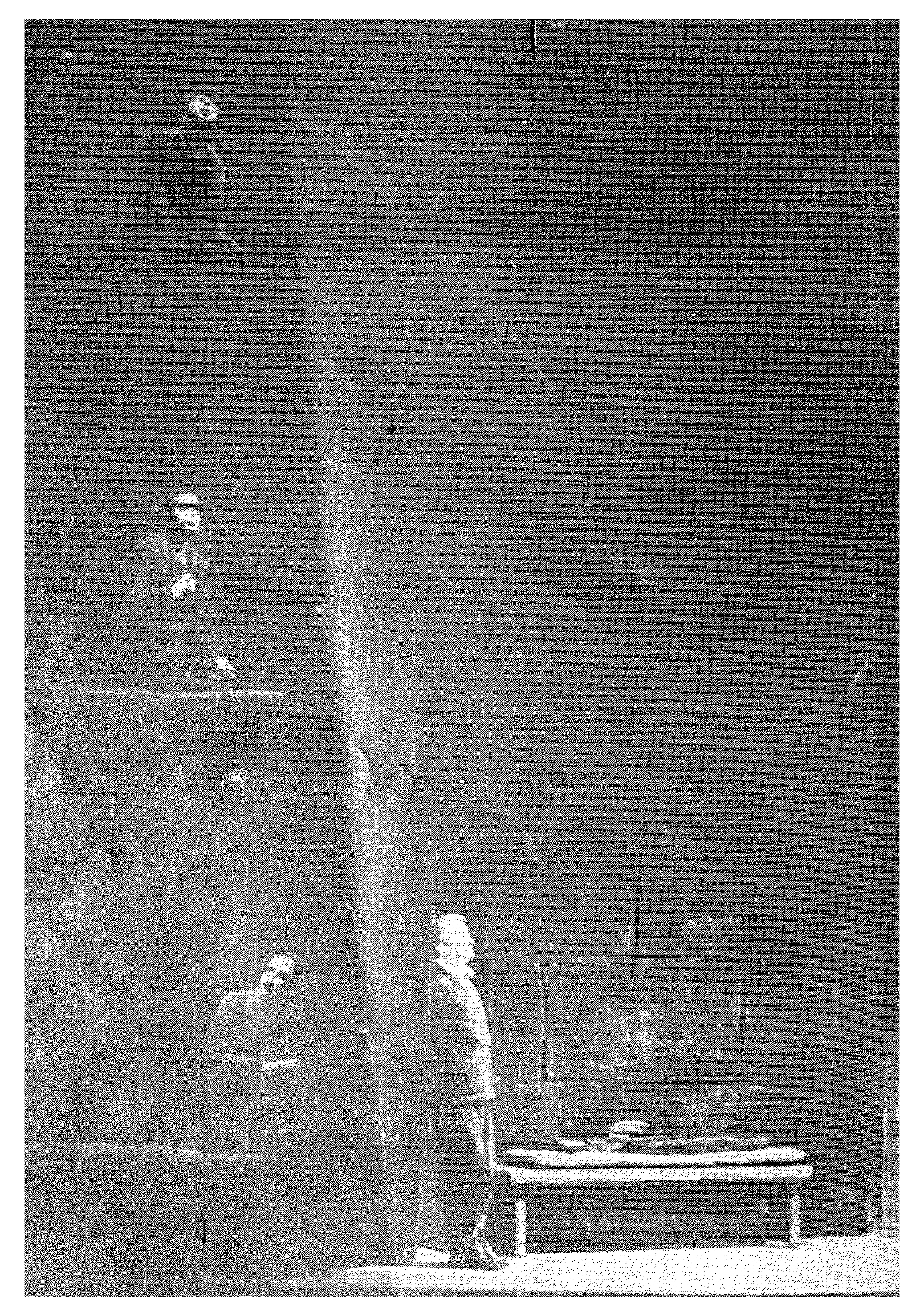
SIDNEY KINGSLEY

Based on the novel by Arthur Koestler

Random House, New York







ظلام في الظهيرة

مسرحيـــة

كتبها

سيدني كنجسلي

نقلها للعربية

عبد الرحمن سامي

(الفكرة مأخوذة عن قصة لآرثر كستلر)

الناشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي "الفجالة"

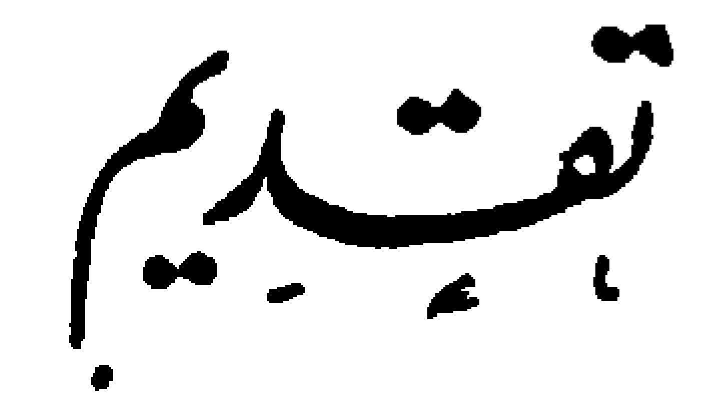
دار مصر للطباعة ـ ت ٧٥١٤٧

« ظلام فى الظهيرة »

مثلت هـذه الرواية للمرة الأولى بمسرح آلفين

Alvin Theatre بنيويورك فى ١٣ يناير سنة ١٩٥١

حيث قام الممثل كلود رينز بدور « روباشوف »



احب أن أشير الى براعة العرض المسرحى الذى ارسى أسسه ، فى هذه التمثيلية ، كاتبها سيدنى كينجزلى .

والقـارىء العربى يجد فى هذه البراعة جديدا ، لأن ما تعوده من المؤلفين بالعربية من توجيهات العرض ، ما زال من البساطة والقصد بحيث يترك الكثير جدا لمخرجى رواياتهم .

فالمخرج عنـدنا ؛ غالبـا ما يضيع جهـده فى رسم خطوط أساسية للاخراج ؛ لو أن الكاتب رسمها بنفسه ، لـكفى المخرج مشقة ينوء بها ، ويسر له حمل رسالته والاسهام بشىء من عنده ؛ من مشـاعره وأفـكاره ؛ هو وضـع الألوان الخلاقة ، والظلال المرهفة ..

ويسترعى التفات القـارىء بحق ، ما يراه هنا من استعمال الضوء والصوت على نطاق واسع ـ خافتين وغامرين ـ بوسائل ميكانيـكية لا يخفى أثرها فى التمثيلية كلهـا ، من مستهلها الى منتهاها .

وبعد ، فلعلى فى غيرحاجة الى مزيد من التقديم ، فان ما تبقى ، وهو وقائع المسرحية ، جدير بأن يتحدث عن نفسه بنفسه .

عبد الرحمن سامى

الشخصيات

بترتيب ظهورها على المسرح

روباشوف
حارس
٤٠٢
٣٠٢
٢٠٢
لوبا
جليتكين
رجل العاصفة ، الأول
رتشارد
فتـــاة
رجل العاصفة ، الثانى
ايفانوف
بوجروف
هروتش
البير
لويچى
پابلو
اندريه
صاحب الخان
سكرتيرة
سكرتير
رئيس المحكمة
جنود ، بحارة ، قضاة ، محلفون

الفصل الأول

مارس ١٩٣٧

الجرانيت الصلد وقضبان الحديد ! دهليز فى سجن من سجون روسيا ، سجن عتيق مدفون فى باطن الأرض . الى اليسار باب حديدى من القضبان الغليظة المتشابكة مثبت فى قوس شاهق من الطراز البيزنطى . من خلال القضبان يرى درج حجرى منحدر بشدة ، تلتف درجاته صاعدة لتختفى عن العيون . والى اليمين صفوف من زنزانات السجن الضيقة يعلو بعضها الآخر فتبدو كأنها نصب مشئوم من حجر الجرانيت المسقى بالعرق ، يتجه صاعدا ليختفى وسط خيالات تعلو المنظر . « حارس » يحمل هراوة ويتأبط بندقية يذرع بهما الدهليز . يتوقف اذ يرتفع الباب الحديدى منزلقا فى ذراعى البوابة العملاقة وسط شنشنة السلاسل التى تحركه فيظهر « ضابط » و « سجين » . السجين نيكولاى سيمونوفتش روباشوف ، قصير القامة ، متين البنية ، حديث حلاقة الذقن أملسها ، يلبس نظارة وهو فى بواكير الخمسين . ضخم الرأس بما لا يناسب جسمه . أبرز ما فيه جبهة مفلحطة منبسطة . عيناه بعيدتان احداهما عن الأخرى

كسمات المغول . قامته منتصبة جداً فى سـيطرة مفترسـة . يفتح « الحارس » باب زنزانة السجن ويدير زراً فى الدهليز فيضاء النور ، يزج بالسجين الى الداخل ويقفل الباب خلفه فى دوى يعقبه صرير المزاليج وهى تحكم والمفتـاح وهو يدور . يقيس « السجين » الغرفة بعينيه فى بطء : مكعب اجوف خال من اية نافذة ، خال الا من سرير من حـديد وحشـية من قش ، ثم لا شىء . ليس فيه نهـار ولا ليل ، قبر عطن لجثة حية . يبحث « السجين » عن جيبه تلقائيا ليأخذ سيجارة ، وعندئذ يتذكر ، ثم يلتفت نحو ثقب المراقبة بالبـاب فتصدمه عين « الحارس » وهى ترقبه :

روباشوف : ايهـا الرفيق الحارس ! يقلب جيوبه الفارغة بطنا لظهر ، حتى سجائرى أخذوها . ايمكنك أن تأتى لى بسيجارة ؟

الحارس (بشدة) : الوقت متأخر . اذهب الى فراشك !

روباشوف : لقد جرونى من فراش المرض ، أنا محموم ، وبحاجة الى سجائر .

الحارس (يغمغم) : أمك ! يطفىء نور الزنزانة تاركا السجين لا يضيئه الا شـعاع متسلل من ثقب المراقبـة . ينصرف الحارس .

روباشوف يفرك خده الملتهب ، يهز رأسه ، يتنهد ، يدور بعينيه فيما حوله ، يخلع سترته ، ببطء ، وفى ألم ، يقذف بها على فراش السجن ثم يحدث نفسـه ، بصوت مكتوم : اذن فقد وقعت الواقعة . كتب عليك الموت يا « روباشـوف » . حسـن ، لقد مضى الحارس العجوز ! يجلس على الفراش ، يطوى سترته ليجعل

منها وسادة ، يحدث نفسه ، متقمرا ؛ كم من فتية وفتيات أغلى من الذهب يودعون التراب كأنهم بقايا المداخن . يخلع منظاره ، يضعه على الأرض ، ثم يرقد على ظهره ، محلقا فى السقف بعينيه ، فى تجهم .
نعم لقد ذهب الحارس العجوز . يتنهد ثانية ، ثم يعيد القول : كم من فتية وفتيات أغلى من الذهب ....
يسمع دقا ، ثلاث دقات ، ثم سكتة ، ثم ثلاث دقات اخرى . يجلس ، وهو يصيخ السمع .. يودعون .. الدق يزداد وضوحا . يلتقط منظاره ، ينهض ، ينظر الى ثقب المراقبة بالباب ليتثبت من أن أحداً لا يراه ، يضع أذنه على احد الجدران ، يدق عليه بمنظاره ، ينصت ، يجرب جدارا آخر . يعود الى الجدار الباقى وينصت ، ثم يغمغم : آه ، ويدق ثلاث دقات . يسمع دقات أعلى تجيبه . يكرر مجموعة الدقات وهو يلصق اذنه بالحائط ؛ الدقات تسمع الآن فى مجموعات مختلفة ، أعلى ، أسرع ، أشد انفعالا . تمهل ! ابطىء .. ابطىء . يدق ببطء وبعناية . الدقات المجيبة تبطىء شيئا فشيئا . هكذا أفضل . يعد النقرات ٢ ــ ٣ : ١ ، ٤ ــ ٣ : س ، ٥ ــ ٢ : م ، ٣ ــ ٤ : ك « اسمك ؟ »
يبتسم السجين ثم يخاطب الجدار بصوت خافت :
ما أجراك ، أيها الرفيق !
ترتفع الأضواء الى الزنزانة الملاصقة ، يذوب الجدار الفاصل ، يظهر السجين رقم ٤٠٢ ، رجل قمىء ، يعلوه القذر ، منطفىء الشعر ، عليه رداء من الأردية القيصرية الرسمية ، ولكنه بوسيلة ما استطاع أن يحتفظ بنظارته المونوكل ، وببعض خرق بالية خلفها العز البائد . يداعب شاربه ويتخطر ، كأنه ما زال

الرجل الأنيق المعطر . و ((٤٠٢)) ينقر الاشارات على الجدار بينما شفتاه ، بلا وعى، تشكل الكلمات وتلفظها ؛ وكل السجناء فى اتصالاتهم بالنقر على الجدران ينطقون رسائلهم بغير شعور بينما هم يرسلون اشاراتها . من انت ؟ **لحظة سكون بينما ((روباشوف)) يهز رأسه ولكن لا يجيب . يدق ثانية :** بالخارج ليل أم نهار ؟

روباشوف **يعود للنظر الى ثقب المراقبة بالباب ثم يدق :** ٠٠ر٤ صباحا .

٤٠٢ **يدق** : وما اليوم ؟

روباشوف **يدق** : الثلاثاء .

٤٠٢ **يدق** : والشهر ؟

روباشوف **يدق** : مارس .

٤٠٢ **يدق** : العام ؟

روباشوف **يدق** : ١٩٣٧ .

٤٠٢ **يدق** : الطقس ؟

روباشوف **يدق** : ثلج متساقط .

٤٠٢ **يخاطب نفسه** : ثلج . **يدق** : من انت ؟

روباشوف **يحدث نفسه** : لم لا ؟ **يدق** : نيكولاى سيمونوفيتش روباشوف .

٤٠٢ **ينتصب واقفا وهو يصرخ** : روباشوف ؟ **ينفجر فى ضحك وحشى كريه . يدق** : الذئاب يفترس بعضها بعضا ! **يتجه الى الجدار المقابل فينقره ثلاثا وأذنه على الجدار يستمع . تضاء الزنزانة العليا ، ينهض شاغلها من سرير السجن ، متألما . هو شاب نحيل ، وجهه أبيض كوجوه الأشباح ، به سجحات وحروق ، وشفة مشقوقة . ينتقل جاهدا الى الحائط ، يدق ثلاثا ، ثم**

يستمع ، بينما « ٢٠٤ » **يدق** : سـجين جـديد . روباشوف .

٢٠٣ **يدق** : نيكولاى روباشوف ؟

٢٠٤ **ضاحكا بصوت أجش وهو ينقر** : ن.س.روباشوف، قوميسير الشعب ، سابقا ، عضو اللجنـة المركزية ، سابقا ، جنرال الجيش الأحمر سابقا ، حامل وسام العلم الأحمر . أبلغها لغيرك !

٣٠٢ يتكور جسـمه كالقطة وقد أذهله الخبر ، يصرخ فجأة : يا رب . يا رب . ماذا جنيت ؟ **يعبر الى الجدار المقابل ، ويدق ثلاثا ، تسمع دقات الجواب . تضـاء الزنزانة العليـا** ، ٢٠٢ **وهو فلاح ، عينـاه مجنونتان ، يسلم رأسه للأرض بينما ٣٠٢ يدق .**

٣٠٢ **يدق** : روباشوف اعتقل . ابلغها لغيرك !

٢٠٢ روباشوف ؟ حسن ، حسن ! **يعبر الى الحائط المقابل ، ويدق** : روباشوف اعتقل . أبلغها لغيرك .

عقود الزنزانات، تظلم وتختفى، تاركة روباشوف وحده ظاهرا ، مستندا الى الجـدار ، يحملق فى الفضـاء . السجن يغرق فى غمار الدقات وصداها ورجع صداها، وفى طيـاتها همسات : ن. س. روباشـوف أعتقل ! ن. س. روباشوف اعتقل ! **الهمسات تتعالى الى هدير جماهير تصرخ اذ تنادى** : روباشـوف ! روباشـوف ! **صوت روباشـوف يسمع ، شابا ، فتيـا ، منتصرا ، يخطب الجموع .**

روباشوف **يزأر** : أيها الرفاق ! **تنحسر الضوضاء** أيها الثائرون من العمال والجنود والبحارة . لقد جاءكم يومكم هذا عظيما، مليئا بالرهبة والسرور ! **الشعب يزأر . اما روباشوف الذى يسـتمع الى الماضى منكس الرأس ، فانه يذرع**

الخلية على مهل . منذ ثمانية أشهر وجهت ضربة واحدة الى عربة الملكية ، الملوثة بالدماء ، «ملكية رومانوف» ، الملطخـة بالوحـل . وجهت اليهـا ضربة واحـدة ، فجندلتها . **الشعب يهدر كأنه المحيط** . أما «الحكومة المؤقتة للديمقراطيـة البورجوازية » ، تلك الحـكومة الباهتة العاجزة ، التي جاءت بعدئذ ، فكانت قد ماتت وترممت فعلا ، ولم تكن تنتظر الا مكنسـة التاريخ لتدفع بجثتها المتحللة الى البالوعة . باسم « لجنـة الثورة » أعلن الغاء « الحكومة المؤقتة » **يشتد هدير الجمهور** . الحكم للسوفييت ! الأرض للفلاحين ! الخبز للجياع ! والسلام لجميع الشعوب !

تتعالى الصيحات الظافرة « روباشوف! روباشوف ! » **حتى تبلغ القمـة ، ثم تنحسر بعيداً ، ثم تفنى ، فلا تترك الا سكونا يلتحف بغرفة السجن ، وروباشوف يستمع الى ذكرياته . ثلاث دقات من جدار ((٤٠٢)) توقظه ، فيستجيب اليها معتمداً باذنه على الحائط . يذوب ويكشف عن ((٤٠٢))** .

٤٠٢ **يدق ولمعان التشفى فى عينيه** : هذا جزاؤك !

روباشوف **لنفسه** : ما هذا ؟ **يدق** : من انت ؟

٤٠٢ **يدق** : ما هذا من شأنك !

روباشوف **يدق** : كما تريد .

٤٠٢ **يدق** : يحيا جلالة القيصر !

روباشوف : اذن فأنت كذلك ! **يدق** : ظننتكم طيورا منقرضة.

٤٠٢ **يدق ويساير الايقاع بحنانه** : يحيا جلالة القيصر !

روباشوف **يبتسم ساخرا وهو يدق** : آمين ! آمين !

٤٠٢ **يدق** : خنزير !

روباشوف **مبسوطا ، يدق** : لم أفهم تماما .

٤٠٢ **يجن جنونه فيخبط** : خنزير قذر !
روباشوف **يدق** : لا تهمنى شجرة عائلتك .
٤٠٢ **وقد ذهب غضبه فجأة ، يدق ببطء** : لماذا سجنوك ؟
روباشوف **يدق** : لا ادرى . **لحظة سكون** .
٤٠٢ **يدق** : هل حدث شيء خطير ؟ اغتيال ؟ حرب ؟
روباشوف **يدق** : لا ! هل يمكنك أن تعيرنى سيجارة ؟
٤٠٢ **يدق** : اعيرك انت ؟ اذن فلينتزعوا خصيتى أولا .
روباشوف **يدق** : فكرة طيبة .

٤٠٢ يبتعد ، يستلقى على فراش السجن ، وتنحسر عنه الأضواء .

روباشوف **يذرع زنزانته ، ويعد الخطى** : ١ ــ ٢ ــ ٣ ــ ٤ ــ ٥ ونصف ... **ثم يقفل راجعا** ١ ــ ٢ ــ ٣ ــ ٤ **تسمع خافتة اصوات غريبة كأنها أصوات أشباح** . ها هى قد بدأت . وما أسرع ما بكرت . **تحوم فوقه صورة غامضة لوجوه أشباح** . أحلام تستيقظ . **تظهر فى الفضاء وجوه عفريتية اخرى** ــ نعم ، أنتم يا بحارة كرونشتات ــ اننى سأدفع الثمن ... وأنتم يا من ليست لكم أسماء . **يظهر وجه أحدب قصير ، يدخن غليونا وهو يبتسم** . والرفيق لويجى . **تبدو بعض الصحون وهى تتراقص فى الفضاء ــ ثم هيئة رجل وجهه الكبير مستدير مثل صفحة القمر ، يتلاعب بالصحون ويطلق ابتسامة نكراء** . وبابلو . **يظهر فى الفضاء وجه مضيء لامراة شابة . وجه أخاذ ؛ عيون عسلية واسعة وديعة ؛ وشعر أسود ؛ وبشرة بيضاء .** ثم لوبا . **تذهب الأصوات والوجوه بعيدا .** سأسدد ديونى جميعا . سأسدد ديونى جميعا .

المراة الشابة تاخذ هيئة البشر . زنزانة السجن

تصبح مكتب قوميسير مصانع الحديد . على الحائط علقت رسوم بيانيــة ضخمة . من خــلال النافذة نستطيع رؤية منظر عريض لمداخن المصانع وهياكل مبان لم تكمل بعد . الشـــابة منحنية على كراسة مذكراتها تكتب ما يملى عليها . روباشوف يمشى جيئة وذهابا ، ويملى . فى فترات السكون ترفع هى رأسها، وتلاحقــه عيناها الوديعتان المســتديرتان فى ذهابه وجيئته ، وفى نظراتها اعجاب وعبادة . ترتدى بلوزة بيضاء مما تلبسه الفلاحات ، مطرزة بزهور صغيرة عند رقبتها العالية . فتاة رعبوب شهية الجسد .

روباشوف **يملى** : لتنفيذ مشروع الســنوات الخمس ، يجب أن تزيد سرعتنا ، فنعمل اثنتى عشرة ساعة اذا اقتضى الأمر . السرعة ! السرعة ! **تقذف الفتاة بشعرها خلفا وهى تكتب ، فيسترعى انتباهه قرطها المتارجح . يقطب حاجبيه . ولكنها لا تلحظه ، فراسها مدفون فى دفترها** . ان « الاتحاد » سيفصل كل عامل يصــل الى مكانعمله متأخرا . وسيحرم الكسالى منبطاقات الغذاء ..... **تمد يدها بسرعة الى أسفل لكى تحك ساقها ، فيلاحظ أنها تلبس خفا عالى الكعبين.يقطب جبينه ثانية** ... اننا اذ نبنى دولة شيوعية جديدة لم يسبق أن تطلعت الىمثلها الأحلام ، يجب أن يكون رائدنا قاعدة واحدة ، هى : الغــاية تبرر الوسيلة . مسافة . بغير هوادة . علامة تعجب .

تحرك الفتاة فجاة رأسها ، ويهتز قرطهــا . يندفع غاضبا على غرة . لماذا تلبسين هذا القرط ، وهــذا الكعب العالى ؟ مع بلوزة فلاحة ! شىء يدعــــو الى السخرية ! **ترفع الفتاة عينيها اليه** .. ما اسمك ؟

لوبا : لوشنكو .
روباشوف : لوشنكو ؟
لوبا : نعم ، أيها الرفيق القوميسير . لوبا لوشنكو .
صوتها خفيض وأجش ، فى وداعة .
روباشوف : وكم مضى لك تعملين هنا ؟
لوبا : تحت رئاستك ، أيها الرفيق القوميسير ؟
روباشوف **يزوم** : « أوم » ، نعم ، تحت رئاستى . طبعا ، تحت رئاستى !
لوبا : ثلاثة أسابيع .
روباشوف : ثلاثة ؟ صحيح ؟ حسن ، أيتها الرفيقة لوشنكو ، لاتظهرى فى المكتب كأنك فيل يرتدى ملابس المهرجانات!
لوبا : نعم ، أيها الرفيق القوميسير ، اننى آسفة .
روباشوف : أما كنت تلبسين هذا القرط امس ؟
لوبا : لا ، أيها الرفيق القوميسير .
روباشوف : اذا ، لماذا تهتمين بملابسك الآن ؟ ما هى المناسبة ؟ اننا فى مكتب . يجب أن نؤدى عملا . هذه مهزلة !.. ماذا كنت أقول ؟
لوبا : **تنظر فى كراستها** : « الغاية تبرر الوسيلة . مسافة بغير هوادة . علامة تعجب » .
روباشوف **يزم شفتيه** : أوم ! **يلتقط أوراقا من على المكتب ، ينظر فيها** . أيها الأحرار الجالسون على سحابة تهزون اقدامكم فى الهواء .... **يلتفت وينظر اليها ؛ فاذ بها تراقبه ، ولكنها تخفض رأسها بسرعة وتعود الى النظر فى كراستها** . ان ـ ان لك اذنين جميلتين جداً . لماذا تفسدينهما بهذه النفاية المتخلفة من الثقافة البربرية ؟ **تجذب قرطها من اذنيها فتخلعه** . هذا أحسن . ثم لا أريدك أن تخافى . اننى لن آكلك . ما ذا تظنون بى

جميعا فى هـــذا المكتب ؟ هل أنا غول ؟ اننى لا آكل الأطفال الصغار .

لوبا **تنظر اليه** : انا لست خائفة .

روباشوف : لست خائفة ؟

لوبا : لا .

روباشوف **مندهشا** : أومف ! حسن ! حسن ! ما ذا كنت أقول؟

لوبا **تبحث فى كراستها** : « جالسون على سحابة ، تهزون اقدامكم فى الهواء »

روباشوف : آه ! **ترفع راسها نحوه وتبتسم ، وبالرغم عنه يرد على ابتسامتها بمثلها** . نعم . **يسترد هدوءه** . أيها الأحرار ، لقد كنتم على خطـأ . ومن يخطىء يدفع الثمن .... **تبهت صورة الفتــاة ، يختفى المكتب ، ويعود هو الى غرفة السجن** . نعم يا لوبا . سأدفع . سأسدد دينى اليك ، قبل كل شيء . **ثلاث دقات تسمع من جدار ٤٠٢** . يتجه الى الجدار بوحشية . ولكن ليس أنت . أنا لا أدين اليك بشيء . كم قتلت منكم أيها القوم ؟ لا يهم . لقد علمتمونا كيف نكره . **ثلاث دقات من ٤٠٢** . لقد علقتم فوق رؤوسنا المشانق **ثلاث دقات من ٤٠٢** . لقد جعلتنا شرطتكم فزعين من هذه الدنيا . وأفزعنا قساوستكم مما بعدها . كنتم تصبون الرصاص مصهورا فى حلوقنا ، كم فتكتم بنا فى موسكو ، وكم شققتم بطون أنصارنا فى ســيبيريا وحشوتموها بالحبوب . لا . **يعبر الزنزانة الى الحائط** . أنت ؟ أنا لا أدين اليك بشيء . **ثلاث دقات من ٤٠٢** . **روباشوف يضع اذنه على الحائط ، ويدق متعجــلا** : ماذا تريد ؟

٤٠٢ **يظهر ، وهو يدق** : سأرسل لك بعض التبغ .

روباشوف **بعد برهة طويلة ، يدق** : اشكرك . **يتنهد ، يتمتم للجدار** : هل أنا مدين اليك ايضا ؟ اننا على الأقل عملنا باسم الانسانية . أوم . ولكن الا يجعل هذا ديننا مضاعفا ؟ **يهز راسه ، غير مصدق** . ما هذا ، يا روباشوف ؟ أهى لوثة من جنون التدين ؟ **يرتعد من حمى البرد . يلبس رداءه .**

٤٠٢ **يخبط على بابه ، وينظر من ثقب المراقبة ، مناديا** : أيها الحارس ! أيها الحارس ! **يسمع الحارس مهرولا فى الدهليز .**

الحارس **من خلال قضبان ثقب المراقبة** : ماذا تريد ؟

٤٠٢ : أتستطيع أن تأخذ هذا التبغ الى الزنزانة رقم ..٤٠ ؟

الحارس : لا .

٤٠٢ : سأعطيك مائة روبل .

الحارس : سأعطيك ضربة فى وجهك بكعب بندقيتى .

٤٠٢ **مبتعدا** : انه ليذبح أمه مقابل روبلين .

الحارس **يعود الى ثقب المراقبة ، مهددا** : ماذا قلت ؟

٤٠٢ **مستخذيا ، كأنه كلب يشكو ويتاوه** : لا شيء ! لم أقل شيئا . **يهرول الحارس مبتعدا . ((٤٠٢)) يتجه الى الحائط ، يدق** : لن ترى منهم خيرا .

روباشوف **يندفع فجاة الى باب زنزانته الحديدى ، ويخبط عليه بعنف ، صائحا** : أيها الحارس ! أيها الحارس ! **يسمع الحارس مقتربا فى الدهليز .**

الحارس : سكوتا ! انك توقظ الجميع . **يظهر خيال من ثقب المراقبة .**

روباشوف **فى هيئة انذار نهائى** : قل للقائد اننى يجب أن أتحدث اليه .

الحارس   **متصنعا الاهتمام ، ساخرا** : آه ، بالتأكيد !
روباشوف : فى الحال !
الحارس : من تظن نفسك ؟
روباشوف : اقرأ تاريخ حزبك .
الحارس : أنا أعرف من أنت .
روباشوف : اذاً لا تسأل أسئلة الأغبياء .
الحارس : أنت رقم ٤٠٠ ، وفى السجن الانفرادى ، وربما تؤخذ الى القبو ، وتعدم رميا بالرصاص . والآن لا تزعجنى ثانية والا دفعت كعب بندقيتى فى وجهك .
روباشوف: حاول أن تفعلها وسترى من الذى يعدم رميا بالرصاص . **الحارس يتردد** . روباشوف **يعود الى الخبط الشديد على الباب .**
الحارس : انك توقظ الجميع . كف عن هذا والا أبلغت عنك .
روباشوف : افعل ! أبلغ عنى ! فى الحال !
الحارس : سأفعل . **ينصرف .**

يمعن روباشوف فى الخبط الشديد على باب الزنزانة . ترتفع الأضواء الى زنزانات السجن فيظهر السجناء الآخرون . كانوا يستمعون الى النقاش من خلال نوافذ المراقبة . « ٣٠٢ » يترك الباب ويجلس على سرير السجن . يبطء ، وفى ألم ظاهر ، يبدأ فى دق الاشارة الى « ٤٠٢ » . « ٤٠٢ » يقف على سريره ، يستجيب ويستمع .

٣٠٢ **يدق** : ماذا فى الخارج ؟
٤٠٢ **يدق** : الساعة ٤ صباحا ، الثلاثاء ، مارس ، ثلج .
٣٠٢ **يدق** : ابعث لروباشوف بتحيتى .
٤٠٢ **يدق** : كيف أذكرك ؟

٣٠٢ **يدق** : يكفى أن تقول اننى صديق .

٤٠٢ **ينتقل نحو روباشوف . يناديه باشارة . ينهض روباشوف ويستمع على الحائط بينما ٤٠٢ يدق :**

« ٣٠٢ » يرسل التحية .

روباشوف **يدق** : ما اسمه ؟

٤٠٢ **يدق** : لم يذكر . فقط صديق قديم . عذبوه فى الأسبوع الماضى .

روباشوف **يدق** : لماذا ؟

٤٠٢ **يدق** : خلافات سياسية .

روباشوف **يدق** : من طائفتك ؟

٤٠٢ **يدق** : لا . من طائفتك .

روباشوف **يدق** : ما عدد المسجونين هنا ؟

٤٠٢ **يدق** : آلاف . يجيئون ويذهبون .

روباشوف **يدق** : من نوعك ؟

٤٠٢ **يدق** : بل من نوعك . انا انقرضت . ها ! ها !

روباشوف **يدق** : ها ! ها ! **خطوات تقترب فى الدهليز . يسرع فى الدق** . بعضهم قادم !

٤٠٢ **يختفى ، روباشوف يرتمى على سرير السجن .**

يدخل شاب ضخم فى بزة الضباط الرسمية . رأسه المحلوق بالموسى ، عيناه الغائرتان ، الخاليتان من كل تعبير ، وعظمتا خديه السلافيتان البارزتان ، توحى لناظرها بصورة الجمجمة التى ترسم شعارا للموت . رداؤه العسكرى الخشن يسمع له حفيف ثقيل ، وكذلك حذاؤه . « الضابط » الذى اعتقل روباشوف ، و « الحارس » يظهران فى مدخل الباب.

يدخل الشاب الضخم الى زنزانة السجن فتبدو صغيرة فى وجوده . اسمه ((جليتكين)) .

جليتكين **يحدج روباشوف بنظرة باردة** : هل انت الذى كنت تخبط على الباب ؟ **ينظر حوله** . هذه الغرفة بحاجة الى تنظيف . **الى روباشوف** : تعرف التعليمات ؟ **ينظر خلف الباب . يلتفت نحو ((الحارس))** . ليست عنده ممسحة . أحضر له ممسحة ! **الحارس يهرول مبتعدا .**

روباشوف : هل أنت القائد هنا ؟

جليتكين : لا . لماذا كنت تخبط بشدة على الباب ؟

روباشوف : لماذا انا معتقل ؟ لماذا انتزعت من فراش مرضى ؟ لماذا جيء بى الى هنا ؟

جليتكين : ان كنت تريد مناقشتى فان عليك أن تنهض واقفا !

روباشوف : ان لم تكن أنت القائد ، فليست عندى أدنى رغبة فى ان اناقشك ... أو حتى أكلمك فى الموضوع .

جليتكين : اذاً لا تخبط على الباب مرة أخرى ـ والا فان اجراءات التأديب المعتادة سوف تأخذ مجراها . **يلتفت نحو الضابط الذى قام بالاعتقال** . متى جيء بهذا السجين الى هنا ؟

الضابط : منذ عشر دقائق .

جليتكين **ينظر الى ساعته ، بشدة** : كان محددا لاعتقاله الساعة الثالثة صباحا ، تماما ، فماذا حدث ؟

الضابط : السيارة تعطلت .

جليتكين : لا يمكن قبول أعذار فى هذا . انها سيارة القائد الجديدة ، وكانت فى احسن حال . هذا مريب جدا .

يخرج كراسة صغيرة ، ويكتب فيها . ابعث بالسائق الى مكتبى حالا!

روباشوف : ليست غلطته . ولم يكن فى الأمر تخريب .

جليتكين **يكتب ولا يرفع عينيه** : وكيف عرفت ذلك ؟

روباشوف : خذ فى اعتبارك . . .

جليتكين : آخذ ماذا ؟

روباشوف : طرقنا .

جليتكين **يبعد الكراسة ويقيس روباشوف بعينيه بغيراهتمام** : ما عيب طرقنا ؟

روباشوف : طرق بدائية تصلح للبقر .

جليتكين : ما أقدرنا على الانتقاد ! أظن ان الطرق خير من ذلك فى البلاد البورجوازية .

روباشوف **ينظر الى جليتكين ، يبتسم ساخراً** : أيها الشاب ، هل سافرت اطلاقا خارج بلادنا ؟

جليتكين : لا ! وليس ذلك ضروريا لكى أعرف . كما أننى فى غير حاجة لسماع حكايات خرافية .

روباشوف : خرافية ؟ **يعتدل فى جلسته** . هل قرأت شيئا من مؤلفاتى أو مقالاتى ؟

جليكتين : قرأت وأنا فى شباب الكومسومول كتبك الصغيرة عن التربية السياسية . وكنت أجد فيها فائدة حينئذ .

روباشوف : كم يرضينى ذلك . وهل وجدت فيها أية حكايات خرافية ؟

جليتكين : كان ذلك منذ خمس عشرة سنة . **برهة سكون** . لا أعتقد أن ذلك مما يجعل لك امتيازاً على غيرك الآن ! **الحارس يظهر وهو ينفض خرقة قذرة** . جليتكين **يتناولها ويقذف بها عند قدمى روباشوف** . عند ما

تسمع نفير الصباح ، تنظف غرفتك . أنت تعرف الأوامر . هل سجنت من قبل ؟

روباشوف : مرارا . ولكن هذه أول مرة تسجنني فيها عشيرتي **(يفرك فكه الملتهب) .**

جليتكين : أتريد أن تفحص طبيا ؟

روباشوف : لا ! اشكرك . أنا أعرف أطباء السجون .

جليتكين : اذا أنت لست مريضا بحق .

روباشوف : عندي دمل ، وسوف ينفجر وحده .

جليتكين **دون سخرية** : هل لديك طلبات أخرى ؟

روباشوف : أبلغ ضابطك الأعلى انني أريد أن أتكلم معه ، وكف عن تضييع وقتي !

جليتكين : ان وقتك قد انتهى ، يا روباشوف ! **يبدأ في الانصراف ، ويسحب الباب خلفه .**

روباشوف : يتمتم باللغة الفرنسية : (Plus un singemonte.)

جليتكين **يسرع بالدخول ثانية** : تكلم بلغتك أنت ! هل انحللت لدرجة العجز عن التفكير الا بلغة أجنبية قذرة ؟

روباشوف **بحدة ، وبسيطرة عسكرية** : أيها الشاب ! لا عيب في اللغة الفرنسية من حيث هي لغة ! والآن ، أبلغهم أنني هنا ، واتبعوا النظام قليلا على الطريقة البلشفية .
جليتكين يتصلب في وقفته ، يفحص روباشوف ببرود ، يدور وينصرف ، وهو يقفل الباب الحديدي بشدة . صرير المفتاح في القفل ، خطواته وهو يمشي مبتعدا في الدهليز . فجأة يقفز روباشوف نحو الباب . يصرخ من خلال ثقب المراقبة : واحضر لي بعض السجاير ! عليك اللعنة ! **يفرك خده الملتهب وهو شارد الذهن . لنفسه** ، ماذا فعلت يا روباشوف ؟ ماذا يظن بك هذا

الشاب؟ هل يراك رجلا مثقفا هزما منهكا ؟ أم يحسبك مسيحا دجالا ؟ أم يجدك رجلا تجرأ على مناقشة سياسة حزبه ، فحان وقت تطهيره ؟ روباشوف ! ها أنت ذا مرة أخرى قد عاودك مرضك القديم . **يذرع المكان ... ٤ ـ ٥** . الثوار يجب أن لا ينظروا الى الأشياء كما ينظر اليها غيرهم . كيف تستطيع أن تغير الدنيا اذا كنت ترى نفسك كسائر الناس ؟ وهل ثمة سبيل آخر لكى اغير الدنيا ؟ **يذرع المكان ... ٣ ـ ٤** ينتظر برهة . **يقطب جبينه . يفتش فى ذاكرته .** وما شأنى بهذا الشاب ؟ **يذرع المكان .... ٣ ـ ٤ .** ترى لماذا تتداعى الى ذاكرتى تلك اللوحة الدينية ، لوحة المسيح ميتا بين يدى مريم ؟ نعم ... ، المانيا ... ، متحف ليبزج ، سنة ١٩٣٣ .

شيئا فشيئا ، يصبح السجن متحفا فى ألمانيا . تظهر لوحة مريم العذراء تحمل على حجرها المسيح ميتا بين يديها . ضابط فى بزة عسكرية سوداء ، وعلى ذراعه شريط رسم عليه الصليب المعقوف ، يحملق فى الصورة . وجهه يختلف فى ملامحه عن وجه جليتكين ، الا أنه يعكس نفس التعبير البارد المنهوس . روباشوف يسير ببطء ، بيده دليل المتحف ، يشاهد صفا من اللوحات غير الظاهرة . يعبر الى الجهة الأخرى ، يدرس صورة العذراء على حجرها جسد المسيح . الضابط ينظر اليه بعينين قاسيتين فاحصتين ، ثم يذهب . يدخل رجل **ذو وجه حى التعبير ، وخدين غائرين . يتأرجح نظره بين دليل المتحف الذى بيده ، وبين اللوحات فى الفضاء . يتوقف محاذيا لروباشوف ، وينظر من بين**

جفون نصف مغلقة ، جاهدا ، ليتبين احد العناوين .

الرجل **بصوت خفيض، يقرأ** : « المسيح ، متوجا بالأشواك » .

روباشوف **يلتفت نحو الجبهة ، يومىء** : تيتيان .

الرجل **لروباشوف** : فى أية صفحة فى الدليل ، من فضلك ؟

روباشوف **دون أن ينظر اليه ، يسلمه دليله ، ينظر الرجل فيه ، ينظر حوله متعجلا ، يعيده ، يهمس بصوت أجش :**
كن شديد الحذر . انهم فى كل مكان .

روباشوف : أعلم . انك تأخرت ، أيها الرفيق رتشارد .

رتشارد : سلكت طريقا دائريا .

روباشوف : قدم تقريرك .

رتشارد : انه لا يرضيك .

روباشوف : أعطنى اياه .

رتشارد : انهم منذ حريق الرايشستاغ قلبوا الموائد علينا . انها لمذبحة . ألمانيا كلها فى هرج ومرج . منذ اسبوع ، كان لنا هنا ستمائة وعشرون خلية . لم يبق منها اليوم سوى اثنتين وخمسين ، لقد أثخنوا الحزب بالجراح وجعلوه كتلة دامية . فى الليلة الماضية قفز اثنان من جماعتى من احدى النوافذ خوف الاعتقال ! **تبدأ شفتاه ترتعشان ، وفجأة يختلج جسده كله .**

روباشوف **بحدة** : تمالك نفسك ! **ينظر حوله** . انك من القادة هنا . اذا كنت تفعل ذلك فماذا تتوقع من بقية الرفاق ؟

رتشارد **يضبط نفسه ، بمشقة** : أنا آسف .

روباشوف : هذا عجيب من رجل سجل قصص البطولة العمالية .

رتشارد : ظروفى سيئة الآن ، أيها الرفيق. ترودا ، زوجتى ،

قبض عليها جنود العاصفة منذ يومين . وحتى الآن
لم أسمع شيئا عنها .

روباشوف : أين كنت وقتئذ ؟

رتشارد : فى نفس الشارع ، على سطح المنزل المقابل. **يصبح صوته رفيعا ، وقد بدأ يفقد زمام نفسه ، مرة اخرى . ياخذ فى التأتأة** ـ ر ... ر ... رأيتهم يأخذونها .

روباشوف **يدور بعينيه فيما حوله ليرى ان كانا مراقبين ، يأمر رتشارد باشارة منه أن ينتقل الى أريكة تحت لوحة «العذراء والمسيح»** : اجلس . **يجلسان على الأريكة .** ان أمامنا عملا كبيرا هنا . علينا أن نجمع صفوف الحزب . يجب أن نشد عموده الفقرى . ليست هذه سوى مرحلة مؤقتة .

رتشارد : نحن نوالى العمل ، أيها الرفيق ، ليل نهار . اننا نوزع النشرات فى المصانع ، ومن بيت الى بيت .

روباشوف : رأيت بعضها . من الذى كتبها ؟

رتشارد : أنا .

روباشوف : أنت ؟

رتشارد : نعم ، انا . لماذا ؟

روباشوف : انها ليست مرضية تماما ، ايها الرفيق رتشارد .

رتشارد : من اى وجه ؟

روباشوف : منحرفة قليلا عن سياستنا . توحى بمسايرة **الأحرار والاشتراكيين والدمقراطيين .**

رتشارد : ان جنود العاصفة ... **تدركه التأتأة مرة اخرى .** يـ ... يـ ... يذبحونهم أيضا ، كالحيوانات ، فى الشوارع .

روباشوف : اتركهم . كيف يضيرنا هذا ؟ بهذه الطريقة يمهد لنا النازيون طريقنا . انهم بازالة هذه القذارة يوفرون الجهد علينا .

رتشارد : قذارة ؟

روباشوف : الأحرار هم ألد أعدائنا . لم نر منهم ، فى تاريخنا كله ، سوى الخيانة .

رتشارد : ولكن هذا ليس من الانسانية ، أيها الرجل . انكم أيها الرفاق فى الصفوف الخلفية تتصرفون كأن شيئا لم يحدث هنا . حاولوا أن تفهموا ! اننا نعيش فى الـ ... فى الـ ... فى الغاب ، نحن جميعا . اننا نسمى أنفسنا « الأموات فى ... فى ... فى اجازة » .

روباشوف : ان قيادة الحزب هنا مسئولية كبيرة . ومن يلجأ الى الملاينة الآن فانه يغضب القيادة . انك بتصرفك هذا تعين العدو علينا ، دون أن تدرى .

رتشارد : أنا ؟

روباشوف : نعم ، أيها الرفيق رتشارد . أنت .

رتشارد : ما هذا ؟ اذاً فان «ترودا» قد خدعت الحزب أيضا ؟

روباشوف : ما دامت هذه طريقتك . **فجأة وباهتمام :** اخفض صوتك . لا تلتفت نحو الباب ! **شاب طويل فى بزة جنود العاصفة دخل الغرفة مع فتاة ووقفا عن كثب يقرآن دليلهما ويدرسان اللوحات . ضابط الحرس الخاص الهتلرى يهمس للفتاة ، فتضحك فى تحفظ . روباشوف ينهض ، وبصوت خفيض هادىء :** لا تتوقف عن الكلام .

رتشارد **ينهض ، ينظر فى دليله ، يتحدث بسرعة :** «روجر فان درفايدن» ١٤٠٠ ــ ١٤٦٤ ، ربما كان أشهر تلاميذ

« فان أيك » .

روباشوف : ان شخوصه حادة الزوايا ، بعض الشىء .

رتشارد : نعم ، ولكن أنظر الى الرؤوس . ان فيها قوة حقيقية . وأنظر الى عمق ملامح الوجوه . **تعود الثأثأة ،** قارن ب ... ب ... بينه وبين غيره من المشاهير ؛ تجد أن تلوينه أهدأ ، وأ ... أ ... أخف . **تتجه عيناه الى ضابط العاصفة فى ذعر ، وحقد .**

روباشوف : هل كنت تتلعثم فى طفولتك ؟ **بحدة :** لا تنظر الى الجهة الأخرى !

رتشارد : **يحول نظره بسرعة :** أ ... أ ... احيانا .

روباشوف : تنفس ببطء تنفسا عميقا عدة مرات . **رتشارد يطيع . « الفتاة » صاحبة رجل العاصفة تتضاحك بصوت حاد ، وتتجه مع رفيقها ببطء نحو باب الخروج ، أثناء مرورهما يلتفتان صوب رتشارد وروباشوف . ضابط العاصفة يقول للفتاة شيئا ، فتجيب بصوت منخفض . يغادران المكان ، بينما ضحكات « الفتاة » تسمع ، ووقع أقدامهما يختفى ، شيئا ، فشيئا .**

رتشارد **مخافتا ، لنفسه :** ترودا كانت تضحك عندما أتلعثم . وكانت ضحكتها لطيفة .

روباشوف **يدفع رتشارد ليعود الى الجلوس :** عليك أن تعدنى بأن تكتب طبقا لتعليمات الشيوعية الدولية وحدها .

رتشارد **يجلس :** أريدك أن تفهم شيئا واحدا ، أيها الرفيق ؛ بعض زملائى يكتبون بسهولة . ولكنى لا أفعل . اننى أكتب من عذابى ؛ أكتب ما اعتقد وما أشعر

هنـــا . أنا لا أختار ، بل أكتب ما يجب أن أكتب ، لأنني لا بد أن أكتب حتى اذا كنت مخطئا ، لا بد أن أكتب ما اعتقد . هذا هو الســـبيل الذى نصل به الى الحقيقة .

روباشوف : لقد وصلنا فعلا الى الحقيقة ، الحقيقة الموضوعية . وعندنا أن الفن هو سلاحها . كم تدهشنى ، أيهـــا الرفيق رتشارد . انك تبحث عن الحقيقة من أجل حبك لنفسك ! اى ضرب من الخبال هذا ؟ أن الفرد ليس شيئا ! « الحزب » هو كل شيء ! وأن سياسته كما تضعها الشيوعية الدولية يجب أن تكون كالجرانيت المصقــول . ولا يمكن أن تســـمح بخدش واحد فى سطحها . أبدا ! لايمكن أن نسمح لحبة خردل أن تنبت عليها فتفصم عروة تضامننا . ان لفظة « أنا » ليست الا من خبـــالات علم النحو . **يخرج ساعته وينظر اليها** . لابد أن أنصرف الآن . **يعيد ساعته الى جيبه ، ثم ينهض** . أنت تعرف ماذا ينتظر منك ، فاحرص على وجهة النظر التى أبديتها لك . وسوف نبعث اليك بتعليمات أخرى .

رتشارد **ينهض** : لا أحسبنى أطيق ذلك .

روباشوف : لم لا ؟

رتشارد : انا لا أومن بسياستهم .

روباشوف : اننا لا نرحم أعداءنا .

رتشارد : وما معنى ذلك ؟

روباشوف : أنت تعرف ما يعنى .

رتشارد : أ ... أ ... أتسلموننى للنازيين ؟

روباشوف : من ليس معنا ، فهو علينا .

رتشارد : اذاً ما هو الفرق بيننا وبينهم ؟ أن انصارنا هنا يتركوننا وينضمون اليهم بعشرات الآلاف . انها خطوة سهلة . سهلة أكثر مما ينبغى . **لحظة سكون. يتكلم ولا يكاد يسمع** . من الذى يستطيع أن يصف ما كانت ثورتكم تعنيه بالنسبة الى ؟ نهاية الظلم كله ! الجنة ! وحبيبتى ترودا ملقاة الآن تنزف دماؤها فى معتقل تحت الأرض للحرس الخاص الهتلرى . بل ربما كانت الساعة فى عداد الأموات . ان قلبى يحدثنى بأنها ، الآن ، ميتة .

روباشوف **يزرر معطفه** : يجب ان نقطع الحديث الآن . ويحسن أن ننصرف منفردين . تذهب انت قبلى ، وأتبعك .

رتشارد : ماذا لديك من تعليمات تخصنى ؟

روباشوف : لا شىء . لا شىء بعد الذى قيل .

رتشارد : وهل هذا كل ما هنالك ؟

روباشوف : نعم ، هذا كل ما هنالك . **يبتعد داخل الظلال .**

رتشارد **فى ضيق** : أيها المسيح !

يختفى رتشارد ، وصورة « العذراء والمسيح ميتا » ، والمتحف ، تختفى كلها تاركة روباشوف وحده ، يذرع زنزانته فى السجن . تدق اشارة على جدار « ٤٠٢ » فيتجه روباشوف الى الجدار ، ويدق عليه ثلاثا .

٤٠٢ **يظهر ، وهو يدق** : عندى سؤال غاية فى الخطورة .

روباشوف **يدق** : ما هو ؟

٤٠٢ **يدق** : هل تعد بالاجابة ؟

روباشوف **يدق** : اسأل .

٤٠٢ **يدق** : متى نمت أخيرا مع امرأة ؟

روباشوف **يئن ، ثم بعد وقفة طويلة ، يضحك ساخراً :** والآن ما الذي يعجبك ؟ **يدق :** منذ ثلاثة أسابيع .

٤٠٢ **يدق :** قص على قصتها .

روباشوف : آخ . **يلتفت بعيداً .**

٤٠٢ **يدق :** احك لي ! احك لي ! ماذا كان شكل نهديها ؟

روباشوف **للحائط :** احسب من واجبي أن أسرى عنك . **يدق :** أبيضان كالثلج ، مستديران كأنهما كأسا شمبانيا . **يتمتم ، للحائط .** هل هذا ما يعجبك ؟

٤٠٢ **يدق :** لا تتوقف . التفاصيل . فخذاها .

روباشوف **يدق :** فخذاها كالأفراس البرية . الى الحائط . ما رأيك في هذا ؟

٤٠٢ : أحسنت . **يدق .** استمر ! اريد مزيداً !

روباشوف **يدق :** كفى ، أيها الغبي ! انني أغيظك .

٤٠٢ **يدق :** استمر ! استمر ! التفاصيل ، أرجوك !

فجأة ، تصبح النكتة سخيفة . تمر على وجه روباشوف سحابة عندما تعود ذكرى قديمة ، لتعذبه. تسمع نغمات من الموسيقى ، آتية من بعيد . يده تمشط وجهه ، كأنها تمسح الذكرى .

روباشوف **يدق :** كفى .

٤٠٢ **يدق :** زدني ، أرجوك ! من فضلك !

روباشوف **لنفسه :** كفى . كفى . **يرقد على سرير السجن ، ويلقى بمعطفه على جسده . يفكر . ترتفع الموسيقى .**

٤٠٢ **يدق :** أرجوك ! **على ركبتيه ، يتوسل .** أرجوك ! **يدفن رأسه في فراش السجن ، يتضرع ، بصوت لا يسمع ، بينما الأضواء تنحسر عنه .**

تخفت الأضواء في غرفة روباشوف . تعلو الموسيقى

باقوى ما يستطيعه تسجيل لمعزوفة بيتهوفن «العاطفية» (Appasionata). وبينما الأنوار تضاء، تذوب الزنزانة، وتتحول الى مخدع لوبا لوشنكو . يصبح فراش السجن جزءا من سرير عريض لشخصين. على حافة السرير لوبا، لا تلبس سوى قميص نوم، تجلس وهي تدخن، تحدق في الفضاء وتحلم، تنصت الى الموسيقى الآتية من جرامفون صغير على المنضدة القريبة .

لوبا : اذن، فغداً سيكون لي رئيس جديد .

روباشوف : نعم .

لوبا : سأكرهه .

روباشوف : لا . لن يكون به عيب . **ينصتان في سكون . يبتسم، وبصره سارح بعيداً، يفكر** : هذه الموسيقى خطرة .

لوبا : ستغيب طويلا ؟

روباشوف : لا أدري .

لوبا : سأشتاق اليك كثيرا . **تدندن اللحن الموسيقى .**

روباشوف **يخرج سيجارة** : اعطيني ثقابا من فضلك، يا لوبا .

لوبا **تبتسم، تنهض، تسير الى المنضدة، تلتقط عيدانا من الثقاب، تعبر اليه، وهي تتمايل مع الموسيقى :**
أحب هذا اللحن . انه دائما يجعلني أهفو الى البكاء .
تشعل سيجارته .

روباشوف **مبتسما** : اتحبين هذا ؟

لوبا : البكاء ؟ **تطفيء الثقاب، تضحك** . احيانا .

روباشوف : هذا ضعف عنصرنا .

لوبا : ماذا ؟

روباشوف : البكاء والتصوف .

لوبا : هل تعنى الروح السلافية ؟

روباشوف **يبتسم ، منكرا** : الروح ؟ الروح ؟

لوبا : أنا أومن بها .

روباشوف : اعلم ذلك .

لوبا : بورجوازية تافهة ؟

روباشوف : نعم ، يا لوبا ، انت كذلك . **ينظر اليها ، بشغف ، يميل نحوها ، بجذبها اليه ، يقبل جيدها ، ترتفع الموسيقى** . هذه الموسيقى خطرة . **ينصتان لحظة فى سكون . تذهب الى الجراموفون وتملؤه . تستند الى الحائط ، قرب روباشوف .**

لوبا : حينما كنت بنتا صغيرة فى « شباب الطليعة » ، كنت انفجر باكية فى لحظات لا يتوقعها أحد .

روباشوف : أنت ؟ انت فى « شباب الطليعة » يا لوبا ؟

لوبا : أتستغرب هذا ؟ أنا لم ابق فيه طويلا . لم أكن نسيجا طيبا . **روباشوف يبتسم** . كنت أبكى فجأة، لغير ما سبب .

روباشوف : ولكن لابد أنه كان ثمة سبب ؟

لوبا : لا ادرى . **تدخن برهة** . نعم . نعم ! أن كتاب القراءة الأول كان يجعل من « پافليك » بطلا عظيما . وكان كل طفل منا يريد تسليم أمه وأبيه الى البوليس السرى ، لكى يعدم رميا بالرصاص .

روباشوف : وهل كان ثمة سبب للابلاغ عن والديك ؟

لوبا **فى ضحكة رقيقة** : لا . لا شىء . ولكنى كنت أتصور نفسى أفعل ذلك لكى أصبح بطلة وطنية مثل «پافليك» ثم كنت بعدئذ آخذ فى البكاء . كنت مغرمة كثيراً بأبى



وأمى ، وطبعا لم يكن أحد يعلم لماذا أبكى . **لذلك فقد** كان نصيبى الطرد ، فانتهت حيـــاتى السياسية فى التاسعة من عمرى . **روباشوف يبتسم ، ولوبا تدندن اللحن** . كان والدى يحب هذه الموسيقى . وكان هو ووالدتى يعجبهما أن يلعباها ، مرارا وتكرارا .

روباشوف : أين هما الآن ؟

لوبا : ماتا أثناء المجاعة بعد « التورة » . كان أبى طبيبا .

روباشوف : هل بقى أحد من عائلتك ؟

لوبا : أخ واحد . هو أيضا طبيب . متزوج . وزوجته لطيفة جدا . انها امرأة بولندية ... فنـــانة . **لوبا تلتقط لوحة صغيرة ، تعبر نحو روباشوف ، تركع الى جانبه** . هى التى رسمت هــذه اللوحة . انهــا صورة طفلهما . عمره سنتان . أليس سمينا ؟

روباشوف **يفحصها** : نعم ، سمين . **يضع الصورة جانبا ، ينظر الى لوبا** . لماذا لا تتزوجين يا لوبا ، ويكون لك أطفال سمان ؟ الا يوجد ساب فى المكتب ؟

لوبا : نعم .

روباشوف لقد ظننت ذلك . ولعله يريد أن يتزوجك ؟

لوبا : **تريح خدها على ركبتــه ، وتقبــل يده فى شغف** : نعم ، يريد .

روباشوف : اذن .... ؟

لوبا : لا !

وروباشوف : لم لا ؟

لوبا : لا أحبه .

روباشوف : أوم ، فهمت . فهمت . **سكتة** .

لوبا **فجأة** : أنت تستطيع أن تفعل بى أى شىء تريد .

روباشوف **يفحصها** : لماذا قلت ذلك ؟ **لوبا تهز كتفيهـا** . أهو توبيخ لى ؟

لوبا : أوه ، لا ، لا ، لا ! ولماذا ؟ **تتضخم الموسيقى فتملأ الغرفة** .

روباشوف : هذه الموسـيقى خطرة . عند ما تسـتمعين اليها ويتبين لك أن البشر فى امكانهم أن يخلقوا مثل هذا الجمال ، فانك تريدين أن تمسحى بيدك على رؤوسهم اعجابا . وما أسوأ ذلك . لأنهم سـينقضون عليها ، ويقضمونها بأسنانهم .

لوبا : **تتناول يده ، وتقبلها** : هكذا ؟

روباشوف **بلطف** : لوبا ، لعلك تدركين انه لا يمكن أن يكون بيننا شىء اكثر مما هو بيننا !

لوبا : انا لا اتوقع شيئا أكثر . هل جعلتك تشـعر أننى اريد شيئا أكثر ؟

روباشوف : لا ، انك كنت طيبة جدا ، ولطيفة ، يا لوبا . **سكتة**. قد اتغيب طويلا . وربما لا أراك ابدا ، مرة اخرى .

لوبا : الى أين أنت ذاهب ؟

روباشوف **يسلم اليها الصورة** : حيثما يرسلنى الحزب .

لوبا **تنهض** : فهمت . انا لا أطلب منك أى شىء . فقط ، أينما ذهبت ، سأفكر فيك ، سـأكون معك ، دائما ، بأفكارى .

روباشوف **يطفىء السيجارة** : ولكن هذا هو بالضبط ما لاأريده.

لوبا **تلتفت نحوه** : لا تريده ؟

روباشوف : لا ، يا لوبا ، لا !

لوبا بهدوء : أوه . **تعبر ، على مهل ، الى الجراموفون . وفجاة يختفى منظر لوبا وحجرة نومها ، بينما تطلق**

الأنوار على زنزانة السجن . صرير المفتاح فى الباب . يفتح الباب بقوة . يدخل حارس شاب .

الحارس : حسن ! قم . تعال معى .

روباشوف : هل ستأخذنى الى قائدك ؟

الحارس : لا توجه أسئلة . افعل ما تؤمر به .

روباشوف : حسن جدا . **ينهض** . كل الاعلانات تصور شبابنا مبتسمين . **يرتدى معطفه** . هل ابتسمت فى حياتك؟

الحارس **وهو لا يمزح** : نعم .

روباشوف : مدهش ! متى ! فى أية مناسبة غير تنفيذ حكم بالاعدام ؟

الحارس **صارم الوجه ، يدفعه الى الخارج . يخرجان . ينطفىء النور فى غرفته ، بينما ترتفع الأضواء الى طوابق السجن .**

٤٠٢ **يعبر الى جدار ٣٠٢ ، ويدق** : لقد اخذوه .

٣٠٢ **يدق** : سريعا هكذا ؟

٤٠٢ **يدق** : بلغها لغيرك !

٣٠٢ **يدق** : أخذوا روباشوف . بلغها لغيرك !

٢٠٢ **يدق** : اتمنى ان ينغصوا عليه حياته .

٣٠٢ **يدق** : لا ! لا ! لقد كان صديق الشعب .

٢٠٢ **يدق** : نعم . **تجحظ عيناه بوحشية وهو يخاطب جماعة هيأها الوهم حوله** : انهم جميعا أصدقاء الشعب . الم يحررونا ؟ أنظروا الينا . احرار كالطير ! ان كل شىء على ما يرام ، أيها الرفاق . الأرض ملك لنا ! ولكن الخبز لهم ! والأنهار أنهارنا ! ولكن الأسماك أسماكهم ! ونحن ملاك الغابات ، ولكننا لا نملك

الأخشاب . انها لهم ! كل شيء لهم ! **يعبر نحو الحائط ، يدق :** لقد أخذوا روباشوف . أبلغها !

الدقات تتردد ، وتتجاوب أصداؤها ، في أنحاء السجن« أخذوا روباشوف! » ، « أخذوا روباشوف!» **الأضواء تخفت ، والسجناء في الزنزانات المتراصة المتراكبة كخلية النحل ، يختفون خلف بطانة المسرح ، فلا يبقى الا عمود هائل من الجرانيت والحديد تكفنه الظلال . تصعد الأنوار الى مكتب في السجن . نافذة عليها قضبان تكشف الفجر ، والثلج يتساقط ، في الخارج . هراوة حارس تتارجح حول النافذة كأنها مترونوم ، أو بندول ساعة . على الحائط ، فوق الساعة ، صورة « الزعيم » ، ترى غامضة في الظل . بقية الحائط خالية الا من بقع كبيرة باهتة حيث كانت صور أخرى معلقة ثم رفعت من أماكنها . يجلس الى المكتب ، رجل في أواسط العمر ، يرتدي بزة الضباط . فظ ، ثقيل البنيان ، ضخم الفكين ، باهت الفودين ، ويدخن سيجارة من سجاير « كريملين » الطويلة ـ كان ذا وجه وسيم ، وغدا الآن عبوسا . كافرا بالخير ، يفحص بعض الأوراق ، غير عابيء برماد السجاير المتراكم فوق سترته . الضابط ، ايفانوف ، ينادي :** « ادخل ! » **يدخل الحارس ، ومعه روباشوف .**

ايفانوف **بخشونة ، للحارس :** اقفل الباب . **يخرج الحارس .**

ايفانوف **ينهض ، يهز رأسه لروباشوف ، يضحك ، ثم يدعوه بغير تكليف :** كوليا !

روباشوف : حسن .... !

ايفانوف : مندهش ؟

روباشوف : لا شيء يدهشنى بعــد الآن . **ايفانوف يضحك ، يفتح احد الأدراج ، يخرج صندوق سجائر ، يعرج نحوه عبر الغرفة .** انت القائد هنا ؟

ايفانوف **يهز راسه :** انا المحقق معك !

روباشوف : هذا سيجعل الأمر شاقا .

ايفانوف : أبدا ! اذا كنا اذكياء ، ونحن فعلا كذلك . **يقــدم اليه علبة سجائر .** سيجارة ؟ **روباشــوف يسكت قليلا .**

روباشوف : هل بدأت حركة الالتفاف ؟

ايفانوف : لمــاذا ؟

روباشوف : انت تعرف « الاتيكيت » .

ايفانوف : خذ واحدة . **يضع العلبــة فى يده غصبا .** ضعها فى جيبك . احتفظ بها !

روباشوف : وهو كذلك. **ياخذ سيجارة ويضع العلبة فى جيبه.** سنسمى هذا افتتاحية غير رسمية .

ايفانوف : لماذا تهاجم هكذا ؟

روباشوف : هل انا الذى قبضت عليكم ؟ أنتم الذين اعتقلتمونى ، أيها القوم !

ايفانوف : أيها القوم ؟ **يهز راسه . يشعل سيجارته هو .** ماذا دهاك ، يا كوليا ؟ ما هــذا التدهور ؟ **يتنهد .** اخ ! اخ !

روباشوف : لماذا اعتقلتمونى ؟

ايفانوف **يعطى روباشــوف عود ثقاب ، متهللا :** فيما بعد . اجلس . اشعل سيجارتك . خذ راحتك . **يعرج نحو البــاب ، يقفل ثقب المراقبــة ، يحكم اغلاقه**

بالمزلاج . روباشوف يجلس . لقد رايتك آخر مرة منذ ثلاث سنوات .

روباشوف **يدخن سيجارته ، متلذذا :** اين ؟

ايفانوف : موسكو . **أثناء حديثه يخطو نحو النافذة ، ويجذب السلسلة ، فتنزل « الضلفة » الحديدية .** كنت تخطب ، عقب هروبك من السجن الألمانى . لقد ضايقوك . اليس كذلك ؟ ومع هذا فانهم لم يحطوا من قدرك. **يعود نحو روباشوف .** كان خطابا عظيما ، لاذعا . جعلنى فخورا بقائدى القديم .

روباشوف : لماذا لم تأت عندى ؟

ايفانوف : كانت تحيط بك كل الشخصيات الكبيرة .

روباشوف **بجفاف :** تشكيلة بديعة من الانتهازيين ، وعباد المناصب ، والمتملقين . **ايفانوف يبتسم ابتسامة ساخرة ، يهز رأسه ، ويعرج الى مكتبه . روباشوف يشير الى رجله .** ان رجلك فى حالة طيبة جدا . حتى اننى لم الاحظها .

ايفانوف **يومىء براسه ، يبتسم ، يجلس على المكتب ، يربت على رجله :** مفاصل اوتوماتيكية ، مطلية بالتروميوم الذى لا يصدأ . استطيع ان اسبح ، اركب الخيل ، اسوق سيارة ، ارقص ، اغازل . الا ترى كم كنت أنت على حق ، وكم كنت انا غبيا ؟

روباشوف : لقد كنت شابا ، وعاطفيا . هذا كل ما هنالك . قل لى ، يا ساشا ، هل الجزء الذى بتروه من قدمك ما زال يؤلمك ؟

ايفانوف **يضحك :** اصبع الابهام ، اذا امطر الجو ..

روباشوف **وهو يدخن :** عجيب .

ايفانوف **يخفض جفنيه ، ينظر من تحتهما شزرا الى روباشوف ، ينفخ حلقة من الدخان** : ما علينا ! الا يؤلمك أنت البتر الأخير ؟

روباشوف : أنا ؟

ايفانوف **بهدوء ، وهو ينفث حلقات من الدخان** : متى سلخت نفسك من « الحزب » ؟ كم مضى عليك وأنت عضو فى المقاومة المنظمة ؟

روباشوف **يرمى سيجارته بعيدا ، يسحقها فتنطفىء ، تحت قدمه** : انتهينا من الجزء غير الرسمى .

ايفانوف **ينهض ، يميل فوقه** : لا تهاجم يا نيكولاى !

روباشوف **يخلع منظاره ، يمسح عينيه** : اننى متعب ، ومريض ، ولا أبالى بأن العب اية لعبة معك . لماذا اعتقلت ؟

ايفانوف **فى دهاء ، يعود الى كرسى مكتبه** : بل أنت الذى تخبرنى بالسبب .

روباشوف **يقفز واقفا ، فى سورة غضب** : كف عن هذرك هذا ؟ من تظنك تحاور وتداور الآن ؟ ماهى التهم الموجهة الى ؟

ايفانوف **يهز كتفيه ، يريح ظهره على ظهر الكرسى** : وما اهمية ذلك ؟

روباشوف : انى أطلب ان تقرأ على التهم ــ او تطلق سراحى فورا !

ايفانوف **يطلق حلقة من الدخان** : لنكن معقولين ، اليس كذلك ؟ ان الدقة فى تطبيق القانون لا غبار عليها فيما يتصل بالآخرين ، ولكن لأمثالك وامثالى ؟ ! **يربت باصبعه على السيجارة لينفض الرماد فى المنفضة** . لماذا نطبق قانونا ؟ متى كنت أنت ــ فى أى وقت ــ مهتما بقانونية الاتهام ؟ فى كرونشتات ؟ **ينهض ، يواجه**

روباشوف . على أى حال تذكر أننى خدمت تحت امرتك . أنا أعرفك !

روباشوف : من ذا الذى يخوض الحرب ولا يرتكب الذنوب . .! ان المعارك لا تكسب بماء الورد والقفازات الحريرية .

ايفانوف : لا . ليس ذلك النوع من المعارك الذى نخوضه نحن .

روباشوف **بحرارة** : الثورة البيضاء ليست الا تناقضا لفظيا . ان العنف ومخالفة القانون هما الديناميت فى يد الثائر الصادق . انهما السلاح فى الصراع الطبقى .

ايفانوف : اتفقنا .

روباشوف : ولكنكم يا قوم استعملتم أسلحة الثورة لتخنقوا الثورة ! لقد استخدمتم الارهاب ضد الشعب . لقد بدأتم حمام الدم . **يتمالك نفسه ، يتكلم بهدوء** . وهذا شىء مختلف تماما ، يا من كنت وقتا ما صديقى ورفيقى . **يجلس** .

ايفانوف : ما ألعن ذلك ، يا كوليا . اننى أكره أن أراك تقتل رميا بالرصاص .

روباشوف **يصقل زجاج نظارته ، يبتسم ساخرا** : كم تلمس قلبى بهذا العطف ! اوضحوا لى أيها القوم ، لماذا تريدون أن ترمونى بالرصاص ؟

ايفانوف **كأنه البرق** : « أيها القوم » مرة أخرى ؟ ماذا دهاك ، بحق الجحيم ؟ لقد كنت تقول « نحن » .

روباشوف : نعم ، كنت أقول « نحن » . ولكن ما هى « نحن » اليوم ؟ **يشير الى الصورة المعلقة على الحائط** . الزعيم ؟ « الرجل الحديدى » وأعوانه ؟ ما معنى « نحن » ، قل لى ؟

ايفانوف : الشعب . الجماهير .

روباشوف : دع الشعب وحده . أنت لم تعد تفهمه . ربما لم أعد أنا ايضا افهمه . عند ما كنا نعمل مع الناس ، كنا نعرفهم . صنعنا التاريخ معهم . كنا جزءا منهم . خلال برهة قصيرة بدانا ندفعهم فيما كان يبشر بأنه طريق جديد نحو كرامة الانسان . ولكن ذلك قد مضى ! مات ! ودفن . ها هم ... **يشير الى البقع الباهتة فى ورق الحائط** . أصبحوا بقعا باهتة على الحائط . الحرس القديم . رفقاؤنا فى الماضى ! أين هم ؟ لقد ذبحوا ! ان زعيمك ذا الوجه المجدور قد انتقانا ورمانا ، واحدا واحدا ، رمانا بعيدا . لم تبق الا فئة قليلة من الرجال المحطمين أمثالى ، وعدد من بقايا الانتهازية أمثالك !

ايفانوف : ومتى وصلت الى هذا الاستنتاج العفن ؟

روباشوف : لم أصل اليه ، وانما دفع به فى وجهى .

ايفانوف : متى ؟ بأية مناسبة ؟ قل لى !

روباشوف : بمناسبة عودتى من المذبحة النازية ، عند ما نظرت حولى ، أبحث عن أصدقائى القدامى . عندما وجدت أن كل الذى بقى منهم ... **يبسط ذراعه بمنظاره مشيرا الى البقع التى تروى القصة** ... مجرد بقع حائلة على كل حائط ، وفى كل بيت فى البلاد .

ايفانوف **يومىء برأسه ويتمتم ، موافقا** : اوم ، هوم ! فهمت . هذا شىء منطقى . وهذا ، طبعا ، كان عند ما ... جرس التليفون يرن . **ايفانوف** يرفع السماعة ، **وينبح** . انا مشغول ، **يرد السماعة مكانها** ... عند ما التحقت بالمعارضة المنظمة ...

روباشوف **ببطء ، مؤكدا كلماته :** انت تعلم ، كما أعلم أنا ، انني لم التحق بالمعارضة المنظمة .

ايفانوف : كوليا ! ارجوك ! اننا ، انا وانت ، ابنا عقيدة واحدة !

روباشوف **محتدا :** انا لم اتصل بالمعارضة المنظمة أبدا .

ايفانوف : ولم لا ؟ هل تعتقد انك جلست هناك معقود الذراعين ؟ كيف تعتقد أننا نقود « الثورة » الى الدمار ، ولم تفعل شيئا ؟ **يهز رأسه .**

روباشوف : لعلني كنت أكبر سنا مما ينبغي ، وكنت محطما .

ايفانوف **يعود الى الجلوس ، يضحك بقلب طيب ، غير مصدق ، فيسمع لضحكته صوت أشبه بدجاجة ترك قبل وضع بيضتها :** اخ ، اخ ، اخ !

روباشوف **يهز كتفيه :** صدق ما تشاء .

ايفانوف : على أي حال ، لدينا جميع الأدلة .

روباشوف : أدلة على ماذا ؟ التخريب ؟

ايفانوف : هذا — بالطبع .

روباشوف : بالطبع .

ايفانوف : وليت الأمر اقتصر على هذا .

روباشوف : هناك أكثر ؟

ايفانوف **يومىء براسه :** واسوأ . **ينهض .** محاولة الاغتيال .

روباشوف : آه ! ومن المفروض أنني حاولت اغتياله ؟

ايفانوف : لست بشخصك . لقد كنت المحرض ، بالطبع .

روباشوف : بالطبع .

ايفانوف : قلت لك ان معنا جميع البراهين . **يلتقط رزمة من الأوراق المطبوعة بآلة الكتابة ، ويلوح بها تحت انفه .**

روباشوف : مثلا ؟

ايفانوف : اعترافات .

روباشوف : اعترافات من ؟

ايفانوف : أحدهم مثلا ، الرجل الذى كان سيقوم بالقتل .

روباشوف : تهنئتى ! وعلى من حرضته ؟

ايفانوف : سؤال خال من الكياسة .

روباشوف : وهل لى ان أقرأ الاعتراف ؟ **يمديده نحو الأوراق . ايفانوف يبتسم ، يسحبها بعيدا عن متناوله .** هل لى ان أواجه الرجل ؟ **ايفانوف يبتسم ، يهزراسه.** بحق جهنم ، من اردت ان أقتل ؟

ايفانوف : لقد ظللت جالسا فى مكانك عشر دقائق تحدثنى . **يفتح أحد الأدراج . يسقط فيه رزمة الورق .** الرجل الذى حاولت ان تقتله هو « الزعيم » . **يدفع الدرج فيقفله بشدة .** « زعيمنا » .

روباشوف **ينزع نظارته ، يميل الى الأمام ، يتكلم مؤكدا كلامه ، من بين أسنانه :** حقيقة تصدق أنت هذا الهراء ؟ **يتفحص ايفانوف .** أم انك تدعى الغفلة ؟ **فجأة يضحك ، شأن العارف بما وراء الأمور .** انت لاتصدق هذه القصة .

ايفانوف **يجلس فى بطء ، وهو يحكم رجله الصناعية :** ضع نفسك فى مكانى . ان من السهل جدا أن ينعكس وضعنا . اسأل نفسك ذلك السؤال ـ وسيواجهك الجواب. **ايفانوف يحك فخذه فى مكان البتر ، يحملق نجأة فى بلاهة الى الرجل الصناعية .** لقد كنت دائما جد فخور بجسمى . واذ بى أستيقظ لأجد تحتى بقية رجل ، تحملها قوائم من السلك . أستطيع أن أشم رائحة غرفة المستشفى . أستطيع أن أراها كأن ذلك يحدث الآن . أنت تجلس هناك بجانب سريرى،

تطيب خاطرى ، وتحاجنى وتعنفنى ، وانا ابكى لأنهم كانوا قد فرغوا لتوهم من بتر رجلى . **يدور نحو روباشوف** . اتذكر كيف توسلت اليك ان تعيرنى مسدسك ؟ اتذكر كيف ناقشتنى ثلاث ساعات ، حتى أقنعتنى بأن الانتحار ليس الا رومانسية بورجوازية تافهة ؟ **ينهض ، صوته يخشوشن فجأة** . واليوم ينعكس وضعك ووضعى . الآن انت الذى تريد أن تقذف بنفسك فى الهاوية . حسن ، أنا لن أتركك تفعل ذلك . وعندئذ اكون قد سددت دينى اليك .

روباشوف **يلبس نظارته ، يفحص ايفانوف لحظة ، بابتسامة ساخرة:** أنت تريد أن تنقذنى ؟ كم هو لعين أسلوبك هذا ! اننى لاأتأثر بعاطفيتك الموهومة . لقد استدرجتنى بالخديعة لأقول ما يفصل راسى عن كتفى . دعها تنتهى عند هذا الحد !

ايفانوف **متهللا** : كان على أن اجعلك تنفجر الآن ، خيرا من ان تنفجر فى وقت غير مناسب . ألم تلاحظ حتى ذلك ؟ **يحرك ذراعيه مشيرا لأنحاء الغرفة** . ليس معنا أحد يسجل علينا كلامنا ! **يعود الى مكتبه ويفتح أحد الأدراج** . أنت تتصرف كطفل رضيع ، طفل عاطفى . اتعرف الآن ماسوف نفعل؟ **يستخرج ملفا من الدرج.**

روباشوف **متجهما** : لا ، ماذا سنفعل ؟

ايفانوف : سوف نؤلف اعترافا صغيرا لطيفا .

روباشوف : آه !

ايفانوف : للمحاكمة العلنية .

روباشوف **يومىء برأسه منشرحا لأنه فهم** : اذاً فهذه هى المسألة؟

ستجرى محاكمة علنية ؟ وعلى انا ان أعترف ، اعترافا صغيرا لطيفا ؟

ايفانوف : دعنى أتم حديثى .

روباشوف **يعض كل كلمة قبل أن ينطقها :** معنى هذا أن أجعل من نفسى قردا كبيرا ضاحكا فى حديقة للحيوان ؟ وان على أن أضرب صدرى بيدى وأبصق فى وجهى فى المرآة ، حتى يضحك الناسُ ويقولوا « الحرس القديم ـ يا للسخرية ! » ان على ان آخذ برازى وأجعله فى فمى ، حتى يستطيع الناس أن يقولوا « الحرس القديم ـ كم يبعث الاشمئزاز ! » لا ، يا ساشا ، لا ، لقد أخطأت الحساب .

ايفانوف **يلقى عباراته فى بطء مصطنعا الاسراف فى الصبر :** دعنى أنتهى من كلامى . **الصبر يختفى ـ يصيح فى وجه روباشوف :** ماذا تريد أن تنقذ ، كرامتك أم رأسك ؟ **يسيطر على اندفاعه ، يشتغل ذهنه فى وضع الخطة ، بينما يسير جيئة وذهابا** . اعترف الآن . عليك أن تقر بأنك أخذت فى الانحراف . انك انضممت الى هذه وتلك من كتل المعارضة . وعليك أن تعطينا أسماءهم . (لقد تم اعدامهم جميعا الآن ، على أى حال ، رميا بالرصاص . وعلى ذلك فلن تقع خسارة) . ومهما يكن من الأمر ، فانك عند ما عرفت أن لديهم خططا ارهابية ، صدم ذلك شعورك ، وانفصلت عنهم . فاهم ؟

روباشوف : فاهم .

ايفانوف : ثم تحال الى المحاكمة العلنية . وندحض تماما تهمة القتل . وحتى بعد ذلك ، سيحكم عليك بعشرين عاما .

ولكن فى مدى عامين ، او ثلاثة ، يصدر العفو عنك . وما ان تمضي خمس سنوات حتى ترجع الى « الحلقة » مرة اخرى . وهذا كل ما يهم . **يتوقف ، ويومىء برأسه ، منشرحا ، نحو روباشوف .**

روباشوف : لا . أنا آسف .

ايفانوف **ابتسامته تضيع ، يشعل سيجارة جديدة ، يتكلم ببطء ، بطريقة جافة** : اذاً ، فان قضيتك سوف تسحب من يدى . سوف تحاكم فى جلسة سرية ، اداريا . هل تعرف ماذا يعنى ذلك ؟

روباشوف : نعم ، توضع كرة المطاط فى فمى ، والرصاصة فى قفاى .

ايفانوف **يحرك عود الثقاب فيطفئه ، ينفخ حلقة متقنة من الدخان ، ويبتسم** : وتتتابع الأمور منطقيا ، وتتلاشى انت ، كالهواء الرقيق . اما انصارك ، فلن يقوموا بأية مظاهرة . وعلام يتظاهرون ؟ ربما تكون غائبا فى مهمة؟ ربما تكون آثرت الفرار ؟ مختبئا فى مكان ما ؟ الأمر سيكون غامضا بالطبع . ولكن ما اهمية ذلك ؟ ن . س . روباشوف اختفى . پف ! فى هدوء ! الى الأبد ! لك أن تختار هذا . **يرن جرس التليفون . ايفانوف يلتقط السماعة** . اسمع ، أنا ... ماذا ؟ أوه ! نعم؟ نعم . مفهوم . سأتحقق من ذلك فى الحال. **يعيد السماعة ، يتجه نحو روباشوف ، يضحك ، يومىء برأسه** . أيها الثعلب! أوه ! أيها الثعلب العجوز ! **يلتقط السماعة . يضغط زرا . صوت مجيب يرد .** جليتكين ؟ ايفانوف . تعال الى مكتبى على الفور ! عملية اعتقال روباشوف . لقد أسأت تنفيذها ، هذا

هو الموضوع . نعم . فى الحال ! **يعيد السماعة الى مكانها . يتجول ثانية نحو روباشوف** . ماهر كل المهارة .

روباشوف : حقا ؟ ماذا فعلت الآن ؟

ايفانوف : أليست لديك فكرة ؟

روباشوف : عندى فكرة صغيرة . مناورات الازعاج ! ليست بذات أهمية حقيقية . ولكنك تغالى فى تقديرها .

يدخل جليتكين . يعبر المكان حتى يبدو أعلى من المكتب ، ياخذ التحية العسكرية منتصبا بشدة . ايفانوف يرد التحية .

ايفانوف : تلقيت توا مكالمة تليفونية من مكتب النائب العام . لقد صدرت الأوامر الى رجالك باعتقال المواطن روباشوف بأكبر قدر من الهدوء . ماذا دهاهم ، بحق الجحيم ؟

جليتكين : انى أحقق الآن مع الضابط المسئول . لقد رفض السجين أن يدخلهم بيته ، وأقام استحكامات ضدهم وراء الباب .

ايفانوف : ولذلك ، أطلقوا الرصاص ودمروا القفل .

روباشوف **يمثل الكرامة الجريحة ، هازئا** : ايقظوا اهل الحى جميعا .

جليتكين **غير ناظر اليه** : لم يكن ثمة مجال للاختيار .

روباشوف **من فوق كتفه ، الى جليتكين** : كان هناك خمسة حلول للاختيار بينها . انكم فى حاجة الى دروس أولية فى المناورات . **جليتكين كمن أصابته لسعة ، يتحول نحو روباشوف .**

ايفانوف **بسرعة ، آمرا** : استمر !

جليتكين : ثم رفض أن يصاحبهم سيرا على الأقدام . اضطروا

أن ينتزعوه ، وأن يحملوه ويسيروا به وهو يصرخ ويعول كامرأة .

روباشوف : هذا خطأ ! يهدر كالدب . كالدب الجريح . ولقد مزقوا سراويلى الداخلية . **جليتكين واقف مكانه ، منتصبا كالرمح ، عيناه خاليتان من كل تعبير ، وقد سيطر على نفسه الآن تماما .**

ايفانوف : كانت التعليمات تقضى بمعاملته بحذر . عليك أن تراعى أن يتلقى السجين السجاير ، والعناية الطبية .

روباشوف : لا أقبل ، ما لم تستدعوا طبيبا خارجيا . اننى أعرف أطباء السجن هؤلاء .

جليتكين : هذا مخالف للتعليمات .

ايفانوف **الى روباشوف** : سنرى ما يمكن عمله . **الى جليتكين** : انتظر فى الخارج . **يخرج جليتكين** . ستنال كل اعتبار . ورقا وقلما ، أن شئت ...

روباشوف : أشكرك كثيرا ، ولكنها لعبة لن تفلح . لقد امتلأ بطنى من هذه المهزلة . **ينهض** . تفضل بارسالى الى زنزانتى .

ايفانوف : كما تشاء . **يلتقط السماعة . يضغط زرا . ينبح :** الحارس ! **يعيد السماعة** . لم أكن أتوقع أن تعترف على الفور . لا تستعجل . أمامك فترة طويلة . فكر فى الأمر . فاذا ما تهيأت للاعتراف ابعث الى بمذكرة . **يحدق الرجلان أحدهما فى الآخر وايفانوف يبتسم .** ستفعل . أنا واثق أنك ستفعل .

روباشوف : أبدا ، يا ساشا . أبدا ! هذا نهائى . **فتح الباب . الحارس يدخل .**

ايفانوف : العشر السنوات القادمة ستقرر مصير العالم فى

عصرنا هذا . الا تريد أن تبقى لترى ذلك ؟ **روباشوف ينظر الى ايفانوف ، ثم يتحول ويذهب ، مع الحارس.**

ما يكاد روباشوف يذهب ، حتى يلفظ ايفانوف هدوءه الهائل . ينهض ويصرخ مغتاظا : جليتكين !

أثناء دخول جليتكين ، يتكلم ايفانوف بسرعة ، وبصوت مبحوح ، وهو يمشي ويعرج في عصبية .

ايفانوف : سرعان ما أصبحت موسكو تعرف الخبر . قدم تقريرا كاملا . ابعث القائمين بالاعتقال الى القيادة . **يشير الى الكرسي .** اجلس . **جليتكين يجلس .** والآن اسمع ! اريد أن يكون من المفهوم بوضوح ، ان هذا ليس بالسجين العادي . نحن لا نستطيع ان نتحمل نتائج أخطاء اخرى . عند ما تعالج أمور هذا الرجل ، فكن كأنك تمشي على قشر بيض ! فالأهمية السياسية والتاريخية لهذه المحاكمات كبيرة جدا . ونيقولاى روباشوف هو الشخصية الرئيسية . ولا بد أن نحصل على اعترافه . تلك هي الأوامر التي تلقيناها ، من فوق .

جليتكين : اذاً لماذا لا تسلمه الى ؟ سأجيئك باعترافه ، في ثلاثة أيام .

ايفانوف : متشكر ! ثم تحمل نيكولاى سيمونوفتش روباشوف الى قفص الاتهام حطاما محطما ؟ بديع . أساليبك القاسية لا تصلح هنا . ليس مع هذا الرجل. **يشعل سيجارة اخرى . يهدأ .** سيعترف . أن فيه لبقية من البلشفي القديم . سيعترف . وعليك أن تدعه في سلام . وليقدم اليه الورق ، والأقلام ، والسجاير ، وليغدق عليه من كل شيء . . .

جليتكين : لماذا ؟

روباشوف : لتزداد عنده سرعة التفكير . يجب أن يحسب حسبته بنفسه . **يضرب على رأسه** . هنا !

جليتكين : هذه الطريقة ، فى نظرى ، كلها خطأ .

ايفانوف **ينظر الى جليتكين ، فى انبساط مستور** : أنت لا تميل اليه ؟ لقد أثار لك مشكلة صغيرة منذ دقائق قليلة ، أليس كذلك ؟

جليتكين : ليس لهذا دخل فى المسألة .

ايفانوف : روباشوف العجوز ما زال يستطيع أن تقع بصقته موقع السيف . أتدرى ما قد يفعل ؟ يستطيع أن يقصم وسطك .

جليتكين **ببرود** : شخصيته لا صلة لها بالموضوع . وآمل ، باعتبارى عضوا فى « الحزب » ، أن أكون أرفع من ذلك . أنا لا أسمح أبدا للحب أو الكره أن يؤثر فى أحكامى .

ايفانوف : شىء جدير بالثناء .

جليتكين : كل ما هنالك أنه ما دامت لاعترافه تلك الأهمية بالنسبة « للحزب » فاننى أعتبر طريقتك طريقة خاطئة . انها لن تأتى بنتيجة . أنا أعرف كيف يؤخذ هؤلاء القدامى . ان العفن يملؤهم من الداخل . لقد أصابتهم جميعا عدوى الجذام الغربى . اذا اردت اعترافا ، فسلمه الى .

ايفانوف : انكم أيها الشباب تجعلوننى اتبسم . أنتم تعرفون كل شىء . أليس كذلك ؟ ان النازيين قبضوا على هذا الرجل ، كسروا رجله ، حطموا أسنانه ، قتلوه ثم أعادوه الى الحياة ــ كم مرة ، لا أدرى ــ ولكنهم

لم يستطيعوا أن ينتزعوا منه اقرارا . وأخيرا ،
هرب . وأنت سوف تكسره لى ، فى ثلاثة أيام ؟
ينظر بعيدا ، وهو يفكر . اذا اعترف ، فلن يكون
ذلك عن جبن . **الى جليتكين** . وسائلك لن تجدى
معه . لقد صنع من معدن لايزيده الطرق الا صلابة.

جليتكين : لا أوافق ، فخبرتى بهؤلاء المناوئين للثورة تثبت غير ذلك . ان الجهاز العصبى البشرى ، فى أفضل حالاته ، يستطيع أن يتحمل الى درجة معينة ـ وعندما تصيبهم تلك التشققات البورجوازية من الداخل ، فان ضغطا خفيفا ـ فى المكان المناسب ـ يكسرهم مثل كتل الخشب التى نخرها السوس . . .

ايفانوف **يضحك ضحكة ناعمة ، يهز رأسه** : انني لأكره أن أقع بين يديك .

جليتكين : دلتنى خبرتى على أن الجهاز العصبى البشرى له نقطة معينة يتحطم عندها تحت ضغط الألم . كل ما فى الأمر هو أن نجد الآلة الضاغطة ، والألم الخاص . .

ايفانوف **بغير مقدمات ، وبشدة** : كفى !

جليتكين : لقد سألتنى .

ايفانوف : أيها الرفيق جليتكين ، فى العهد القديم . . . **يذهب الى مكتبه ، يفتح احد الأدراج ، يخرج زجاجة وعددا من الكؤوس . يملأ الكؤوس ، يدفع باحدها نحو جليتكين** . . . قبل أن تولد ، بدأنا الثورة متوهمين أننا فى يوم من الأيام سوف نلغى السجون ، وننشىء بدلا منها حدائق الزهور . **يضحك ؛ اخ ، اخ ، اخ !** ربما ، فى يوم من الأيام . . . **يقذف بما فى كأسه الى فمه** .

جليتكين : لماذا أنتم كلكم مستهزئون هكذا ؟

ايفانوف : مستهزئون ؟ **يلتفت وينظر اليه ، فاحصا** . فسر هذه الملاحظة ، من فضلك !

جليتكين : افضل ان لا افعل ، اذا لم يسئك هذا .

ايفانوف : بل يسيئني . فسرها !

جليتكين **يلتقط الكاس ، يفرغها** : الاحظ انكم ايها الأكبر سنا تتحدثون دائما كأنما الماضي وحده هو العهد المجيد... او هو المستقبل البعيد . ولكننا فعلا سبقنا أي بلد آخر ، هنا ، والآن ! اما الماضي فعلينا ان نسحقه . وكلما أسرعنا في سحقه كان ذلك افضل .

ايفانوف : فهمت . **يجلس ، يهز راسه ، مبسوطا** . اذاً فعيناك تريانك أنني أنا الذي فقدت ايماني ؟

جليتكين : نعم . اظن ذلك . **يعبر الى المنضدة ، يقلب الكاس ، فجاة** .

ايفانوف : حسنا ، ربما يكون ذلك . أما عن « روباشوف » فان تعليماتي كما هي . سيعطى الوقت ، ليفكر . سيترك وحده ، في هدوء ، ليعذب نفسه بنفسه .

جليتكين : لا أوافق .

ايفانوف : سيعترف . **يلمح التعبير الذي ينطق به وجه جليتكين ، ثم ، بشدة** : دعه في هدوء ! هذا امر .

جليتكين : كما تأمر . **يضرب كعبا بكعب . ينتصب في وقفة الانتباه . يدور في الغرفة ، وهو يسير في خطوة الطابور كأنه في استعراض . ايفانوف يقلب شفته في اشمئزاز ، يصب لنفسه شرابا قويا ، يتنهد تنهيدة ثقيلة ، يشرب ... بينما يختفي المنظر ، شيئا فشيئا .**

تصعد الأنوار على جميع الزنزانات . روباشوف

جالس على سرير سجنه ، يدخل ملتحفا بافكاره .
السجناء الآخرون يتبادلون الرسائل من خلال تكعيبة الزنزانات .

٢٠٢ **يدق** : كل السجناء يطلبون الى روباشوف الا يعترف وأن يموت فى سكون .

٣٠٢ **يدق** : السجناء يطلبون الى روباشوف الا يعترف وأن يموت فى سكون .

« ٤٠٢ » ينتقل الى حائط روباشوف ويدق اشارة . روباشوف يرفع رأسه ، يتوقف لحظة ، ينهض بطيئا ، ينظر الى ثقب المراقبة ، ثم ينتقل الى الحائط ، يستجيب للاشارة .

٤٠٢ **يدق** : السجناء يطالبونك بألا تعترف . لا تدعهم يأخذوك الى المحاكمة .

روباشوف **يتوقف برهة ، يدق** : كيف عذبوا « ٣٠٢ » ؟

٤٠٢ **يدق** : بالبخار .

روباشوف ، متجهما ، ينفخ فى سيجارته المشتعلة حتى تتوهج . ينفخ الرماد فيسقطه ، يضع النار الحية على ظهر يده ، ويبقيها عليها دون أن يرتجف ، متجلدا فى بطولة ، محدقا فى نفخات الدخان الأزرق تتصاعد متكورة من لحمه المحترق . وأخيرا ، يسحق السيجارة فيطفئها ، ويقذف بها بعيدا .

٤٠٢ **يدق** : ستموت فى سكون ؟ ستموت فى سكون ؟

روباشوف **يدق ، مجهدا** : سأفعل ! قل لهم ، سأفعل !

٤٠٢ **يدق** : احتراماتى . انت رجل ! **ينتقل ، يدق على حائط « ٣٠٢ »** روباشوف سيموت فى سكون . أبلغها لغيرك .

الأخبار تدق فى السجن ، وتمتمة كالريح تعلو وتنخفض
« روباشوف سيموت فى سكون » ، « روباشوف سيموت فى سكون » . **الأضواء تنحسر ، والسجناء فى خلية النحل يختفون .**

روباشوف **محدقا فى اليد المحترقة ، ينتقل الى سرير السجن : يجلس ، يومىء برأسه ، ويتمتم :** كمنظفى المداخن ، اذا هبطوا من أعلاها الى تراب المواقد ، الى التراب ، التراب ... **الأضواء تخبو عليه .**

ستار

الفصل الثانى

المنظر :

زنزانة روباشوف ، بعد خمسة أسابيع .

عند رفع الستار : ظلام ، قضبان من النور تعبر ثقب المراقبة وتضيء وجه روباشوف ، المحموم . يتنفس تنفسا ثقيلا ، يتأوه ويتقلب بشدة فوق سرير السجن . صور أشباح تحوم فوقه وحوله . أصوات أشباح تهمس همسا أجوف : « روباشوف ! روباشوف ! » **أصداء من الماضى تنادى :** « المسيح تتوجه الأشواك ! » **صوت لوبا مليئا وخفيضا :** « أنت تستطيع أن تفعل بى أى شىء تريد » . **من لا اسم لهم يظهرون ويختفون ، هامسين :** « روباشوف ! روباشوف ! »

روباشوف **يحلم ، يرفع رأسه ، عيناه مغلقتان ، يصرخ :** ليس الموت لغزا بالنسبة الينا . ليس فيه من شىء علوى . الموت ، هو الحل المنطقى للخلافات السياسية .
يسقط رأسه الى مكانه ، ثانية ، يتقلب من جنب لآخر ، متأوها .

ترتفع الأنوار الى الدهليز . وقع اقدام على ارضه الحجرية . جليتكين يدخل من باب الى اليمين ،

صـاعدا من قاعة الاعـدام تحت الأرض ؛ يتبعه ضـابط زميل شـــاب . يتحركان نحـو زنزانة روباشـوف ، ويتحادثان بصـوت غير مسـموع . ايفانوف يدخل من البوابة. يلحظهما ، يقف وراءهما ، ثم ينـادي ، بحدة : جليتكين ! جليتكين **يتوقف . يلتفت ليواجه ايفانوف .**

ايفانوف **يعرج نحو جليتكين ، وهو يضغط الأرض بقدميه ، وينظر اليه فاحصا ، في شك :** ما وراءك ؟

جليتكين **دقيقا جدا :** أنا لا افهمك أيها الرفيق .

ايفانوف : كذا . أنا واثق من أنك لا تفهمني . هـل فعلت بسجيني شيئا ؟

جليتكين : فعلت به شيئا ؟

ايفانوف **في ضيق :** هل فعلت به شيئا ؟ أنت تفهمني ، أليس كذلك ؟

جليتكين : لم ار المواطن روباشـوف منذ خمسة أسابيع . ومع ذلك فقد أبلغت ، أثناء قيامي بعملي ، أن مرضه بالحمى قد اشتد . وأرى من الأفضل أن آخذه الى طبيب السجن .

ايفانوف **ينفث حلقة من الدخان ، ثم ببطء ، يقيس كلماته :** ابتعد عنه ، وابعد ذلك الطبيب عنه . **بحدة :** أوامري ما تزال نافذة .

جليتكين : حسن أيها الرفيق . انها ستطاع .

ايفانوف ينخر ، ينفث الدخان في وجهه ، ثم يتحول منصرفا وهو يعرج . يرقبانه وهو يذهب . الضابط الشـاب يلتفت نحو جليتكين الذي اخرج كراسة مذكرات واخذ يكتب فيها .

الضابط الشاب : اعصاب الرفيق ايفانوف بدأت تنهار .

جليتكين : اخشى أن يكون ذلك السجين عنيدا حقا ، ابلغتهم عند ما ادخلوه أننى أستطيع أن اكسره .

الضابط الشاب : وبسهولة !

جليتكين : الرفيق ايفانوف يريد ان يطبق الأساليب النفسية ، وحسب .

الضابط الشاب : **هازئا** : هؤلاء الثوريون القدماء جاءوا بمعلوماتهم من الكتب .

جليتكين : سأستخدم الليلة الأساليب النفسية ، وسأكسر هذا السجين .

الضابط الشاب : مخالفا الأوامر ؟

جليتكين : لا . لن أقترب من زنزانته . ولكن ... **ينظر فى ساعته** ... فى مدى ساعة سيكون متهيئا للاعتراف .

الضابط الشاب : وكيف ؟

جليتكين **دون أن يفصح عن شىء** : سيكون الأمر مسليا جدا .

روباشوف يستيقظ ، يندفع جالسا ، فجاة ، وهو ينصت .

ترتفع الأضواء الى مجموعة الزنزانات . ((٤٠٢)) يجلس فجاة ، وهو يستيقظ ، هو أيضا يستمع ، منتفضا من شدة البرد . ((٣٠٢)) ، ((٢٠٢)) يستيقظان فجاة وينصتان آلى السكون المشئوم .

تنحسر الأضواء عن جليتكين والضابط الشاب . ينهض السجناء ، واحدا تلو الآخر ، ويبداون فى

المشى بعصبية جيئة وذهابا ، كحيوانات فى أقفاص . وبين كل لحظة وأخرى ، يتوقف الواحد منهم ، يستمع ، ثم يعود يذرع المكان من جديد. روباشوف ينهض ، يمسح عن وجهه العرق بكم سترته ، يستمع ، ثم ينتقل الى حائط « ٤٠٢ » ، يدق ، ينتظر ، « ٤٠٢ » يستجيب .

روباشوف **يدق** : هل أيقظتك من النوم ؟

٤٠٢ **يدق** : لا .

روباشوف : هل ثمة شيء يحدث ؟

٤٠٢ **يدق** : هل شعرت أنت أيضا ؟

روباشوف **يدق** : ما هذا ؟

٤٠٢ **يدق** : لا أدرى . شيء ما . كيف حالة الحمى ؟

روباشوف **يدق** : سيئة .

٤٠٢ **يدق** : حاول أن تنام . **من فوق ؛ « ٣٠٢ » يبعث اشارة** . انتظر ! **ينتقل الى حائط « ٣٠٢ » ، ويرد على الاشارة .**

٣٠٢ **يدق** : من هو « بوجروف » ؟

٤٠٢ **يدق** : لا ادرى. **يعود ، ويدق** : من هو «بوجروف» ؟

روباشوف **يدق** : ميشا بوجروف ؟

٤٠٢ **يدق** : المعروف هو لقبه ، فقط .

روباشوف **يدق** : أعرف شخصا أسمه « ميشا بوجروف » . لماذا ؟

٤٠٢ **يدق** : يدقون اسمه على الجدران .

روباشوف **يدق** : اعتقلوه ؟

٤٠٢ **يدق** : لا أدرى . الاسم « بوجروف » . هذا كل ما فى الأمر .

روباشوف يدق : وما هى المناسبة ؟
٤٠٢ يدق : لا أدرى .
روباشوف : لنفسه . غريبة .
الأضواء تخفت على السجناء الآخرين عند ما يأخذون فى المشى بعصبية جيئة وذهابا .
روباشوف **وحده يفكر ، يبتسم ، يغمغم** : ميشا . **يجلس على سريره ، يهز رأسه** . ميشا !
حشد من الرجال تسمع أصواتهم خافتة وهم يغنون سويا ، يزداد الصوت ارتفاعا . وهج برونزى لنار معسكر تهتز . ثوار من الجنود والبحارة الروس ، متجمعين كأنهم قرص كبير . بزاتهم بعضها عسكرى، وبعضها مدنى ، محملون بأسلحة متنوعة ؛ قنابل بهيئة العصى ، مدلاة مع خناجر ـ يجتمعون حول النار ، يدخنون ، يدفئون أيديهم ، يغنون . « الجنرال روباشوف » ، **لامع الوجه اذ ينعكس عليه ضوء النار، يهز رأسه ويساير ايقاع النغم ، بينما بحار ضخم ، قصير الأنف ، شعره فى لون الرمل ، كتفاه سميكتان ، ساحر الابتسامة ، يرفع صوته طربا رنانا ، وهو يغنى :**

فى ضوء فجر باهت اللمعان
انتصبت حوائط « الكريملين » العتيق ،
والأرض ، التى لم تعد فى حلم ،
تصحو الآن ، على نداء الصباح ،
ومع أن الرياح تهب باردة ،
فقد أخذت الشوارع فى الضجيج ،
والشمس يزهو بهاها ،
تبعث التحية للأرض أم المباهج ،

فنرفع الصوت عاليا ، والزهو يملؤنا ؛
لا غالب لنـــا ،
لن ينفض عقدنا ،
وسنصمد دائما سويا ،
من أجل أرض موسكو العزيزة .

البحار يؤكد الخاتمة ، يقذف قبعته في الهواء . الآخرون يصفقون وينادونه ، « مرحى يا ميشا ! احسنت ، يا ميشا بوجروف ! »

ميشا **يضحك ، ينتقل الى روباشوف ، يفك من حزامه خنجرا منحنيا ، غنيا بالزخرف ، مقبضه من الفضة :** كوليا . . . . . !

روباشوف : نعم ، يا ميشا .

بوجروف **وهو يقدم الخنجر اليه :** هاك ! اريدك أن تأخذ هذا . لكي تتذكرني !

روباشوف : ولكنك قد تحتاج اليه .

بوجروف **يهز رأسه ، تكشف ابتسامته عن أسنانه . في هذا الرجل الضخم شيء من الطفل الطيب الساذج :** لا . « الحرب الأهلية » انتهت . لا قتل بعد اليوم . الآن نذهب الى اهلنا . نبني حياة جديدة . **يقدم اليه الهدية ثانية .** خذ ، أرجوك !

روباشوف **يقبلها :** حسنا ، يا ميشا . أشكرك . والآن عندي شيء لك . أتستطيع أن تخمن ؟

بوجروف **يفكر بشدة ، مقطبا جبينه ، ثم تنفتح عيناه ، واسعتين:** كوليا . . . هل . . . أنا . . . هم . . . ؟

روباشوف **متهللا ، يومىء برأسه :** غدا ، تصبح عضوا في « الحزب » .

بوجروف **غلبه الفرح** : انا ؟ انا ؟ ميشا بوجروف ... عضو « الحزب » ؟

روباشوف : لقد استحققت ذلك . فقد أحسنت القتال من أجل « الثورة » .

بوجروف : انى من الجهلاء ، يا كوليا ؛ لست الا فلاحا غبيا ، ولا أعرف شيئا بعد ــ ولكنى على استعداد للموت من أجل « الثورة » .

روباشوف : نعرف ذلك . وعليك من الآن أن تفهم معناها ، وأن تذهب الى المدرسة ، وأن تتعلم ، يا ميشا .

بوجروف : سأفعل . سأفعل . سترى ! ستكون جد فخور بى ، وحيث أكون ، فى مثل هذا اليوم من كل سنة ، سأبعث اليك خطابا أوقعه « رفيقك المخلص ، حتى القبر » . **الجنود يطالبون بالمزيد من الغناء ، « هيا يا ميشا ، زدنا ! »** من أجلك سأغنى هذه . من أجلك وحدك ، يا كوليا .

بوجروف يغنى ، تصاحبه أصوات المحتشدين ، ترديدة لحن « موسكو الحمراء » :

سنرفع الصوت عاليا ،
لأن الزهو يملؤنا ،
لا غالب لنا ،
لن ينفض عقدنا ،
وسنصمد دائما ،
سويا ،
من أجل ارض « موسكو » العزيزة .

شيئا ، فشيئا ، يبهت ويضيع بوجروف ، ونار العسكر ، والرجال المغنون معه ، وكذلك أصواتهم ؛

تاركة روباشوف ، وحيداً ، فى زنزانته العطنة الصامتة الغبراء ، يومىء برأسه ، ويهمهم اللحن لنفسه ، خافتا . ترتفع الأضواء الى « ٤٠٢ » الذى يدق اشارة على حائط « روباشوف » . « روباشوف » ينتقل الى الحائط ، ويستجيب .

٤٠٢ **يدق** : فى أى يوم نحن ؟

روباشوف **يدق** : لم أعد أعرف .

٤٠٢ **يدق** : ماذا تفعل ؟

روباشوف **يدق** : أحلم .

٤٠٢ **يدق** : نائما ؟

روباشوف **يدق** : مستيقظا .

٤٠٢ **يدق** : أمر مؤسف . وما هى الأحلام ؟

روباشوف **يدق** : حياتى .

٤٠٢ **يدق** : ألن تعترف ؟

روباشوف **يدق** : قلت لك ، لا .

٤٠٢ **يدق** : الموت فى سكون ، هو الأفضل . **سكون** .

روباشوف **لنفسه ، بمرارة** : الموت فى سكون ! الضياع فى الظلام ! الاختفاء بغير كلام ! هذا قول سهل .

٤٠٢ **يدق** : تتمشى ؟

روباشوف **يدق** : نعم .

٤٠٢ **يدق** : لاحظ الحرق المتقيح . المشى وانت تحلم يؤذى القدمين . مشيت مرة اثنتى عشرة ساعة فى الزنزانة . ذاب حذائى . **يضحك بخشونة** . لم أهتم . **يلعق شفتيه ، يدير عينيه فى محجريهما ، يتأوه ، فى شهوة** : أوم ! كنت أحلم بالنساء . آه ـ ه ـ ه ! سؤال : متى تكون المرأة فى ألذ حالاتها ؟ الجواب : بعد

حمام ساخن ، وقد اغتسلت جيدا بالصابون ، زلقة كلها . ها ! ها ! **ضحكاته ترن فيها اللوعة والجنون .** ها ! ها ! **يتوقف ، وينصت . عدم استجابة روباشوف يثير ـ فجأة ـ غضبه** . ماذا حدث ؟ أنك لم تضحك . امزح !

روباشوف **يهز كتفيه ، يدق** : ها ! ها !

٤٠٢ **ينفجر ضاحكا مرة أخرى ، يدق** : ها ها ! مضحك ، ها ! . .

روباشوف **يدق** : مضحك .

٤٠٢ **يدق** : كم امرأة تحب ؟ **سكون** . كم ؟

روباشوف **يدق** : ولا واحدة .

٤٠٢ **يدق** : لم لا ؟

روباشوف **يدق** : عملي . لا أجد وقتا .

٤٠٢ **يدق** : « أنت » و « الثورة » . مغامرة غرامية ! أيها الرجال ، اليس لكم جنس ؟

روباشوف **يدق** : أوه . نعم .

٤٠٢ **يدق** : ماذا تصنعون به ؟ تكتبون على الثلج ؟ ها ! ها ! **تتعالى ضحكاته ، يجذب اللحم الأعجف فى ذراعيه وفخذيه** . نكتة طيبة ؟

روباشوف **يدق** : ليست طيبة .

٤٠٢ **محنقا ، يدق** : تنقصك روح الفكاهة . لا عجب أن نساءكم أنصاف رجال ! نساؤكم لهن شوارب ! لقد قتلتم جمال نسائنا ! ابن كلبة ، ابن كلبة ، ابن كلبة !

روباشوف **بجفاف ، يدق** : تكرر نفسك .

٤٠٢ **يدق** : اعترف . ألم تعشق ابدا ؟ مرة ؟

روباشوف **يدق** : لا . ابدا . **يتنهد عميقا ، يقطب ، مفكرا .** **« ٤٠٢ » يختفى .**

رجل رمادى الشعر ، ((هروتش)) ، يبدو وهو يتنهد تنهيدة ثقيلة ، قابضا على صدره ، فوق القلب .

هروتش **يضحك فى انطواء وخجل** : لا شىء . قلبى يبطىء قليلا . **الزنزانة تختفى . هروتش واقف خلف مكتب فى غرفة قوميسيرية مصانع الحديد . المنظر المنبسط خارج النافذة يكشف مبانى المصنع ، وقد كملت الآن . هروتش بادى الخوف ، ثائر الأعصاب .**

هروتش **يضغط حديثه ، وهو يتكلم فى شهقات غير ارادية :** نعم الملفات جاهزة لكى تطلع عليها . وبالطبع ستطلب رؤية الخرائط . **يلتفت نحو الظلام . لوبا لوشنكو تظهر ، واقفة هناك ، والخرائط فى يدها ، تحدق فى روباشوف ، بعينين واسعتين مضيئتين ، وشفتين منفرجتين . تسلم الخرائط الى هروتش ، ولكن عينيها لا تفارقان روباشوف ، ابدا .** آه ! ها نحن . والآن ، كل شىء تريد له تفسيرا ، تعرفه سكرتيرتنا هنا معرفة تامة . **يلاحظ هروتش انهما يحدقان احدهما فى وجه الآخر .** تذكرين ، أيتها الرفيقة لوشنكو ؟ **يسلم الخرائط الى روباشوف .**

روباشوف **مستندا بشدة الى عصا ، يخطو للامام . يمشى بعرجة خفيفة :** كيف كان حالك ، أيتها الرفيقة لوشنكو ؟

لوبا : بخير تماما . اشكرك ، ايها الرفيق روباشوف . ارحب بعودتك الى ارض الوطن .

هروتش : حدثت تغييرات كثيرة منذ ان ذهبت . اكملت المصانع .

روباشوف **وهو يلقى بالخرائط على المكتب :** انك لم تكمل حصتك

المقررة . الحديد ناقص بنسبة ٢٣ فى المائة ، والصلب ٣٨ فى المائة .

هروتش : نعم ، نعم . ان التخريب مشكلة . **يتنهد ويقبض على قلبه . يضحك معتذرا ، ويشير الى قلبه** . انه فى كل لحظة يأخذ فى الدق بشدة ... يجب أن أشكو — انظر اليه . أما عن القصص التى عشتها فى رحلتك ، ايها الرفيق روباشوف ؟ هؤلاء النازيون ؟ وما صنعوه بك ! ثم هروبك ، وعودتك الى الوطن ، متهيئا لمعاودة العمل فورا . انها روح مدهشة . مدهشة ! مثال يجب علينا أن نحتذيه ! **يضحك فى ضعف ، يلهث ، ممسكا قلبه** . اما من حيث اكمال الحصة الجديدة ، فانه من الناحية الميكانيكية ، لا يمكننا القيام بذلك . ومن الناحية الجسدية ....

روباشوف **ببرود ، ودون اهتمام** : تلك هى الأوامر .

هروتش **يعود خوفه الى الظهور ، يجرب ابتسامة متحاذلة** : حسن ، اذا كانت تلك هى الأوامر ، فالواجب اذا أن تنفذ ، اليس كذلك ؟

روباشوف : نعم . سوف ابعث فى طلبك . **يصرفه** .

هروتش يذهب بسرعة . روباشوف يلتفت . ينظر الى لوبا ، فى سكون . يبتسم .

لوبا : كنت اتساءل هل أراك مرة أخرى ، على الاطلاق .

روباشوف : المسألة كانت هل سيرانى احد على الاطلاق .

لوبا : أعرف . لقد تحققت صلاتى . فقد صليت من أجلك .

روباشوف : لأى اله ؟

لوبا : لقد فعلت . لقد صليتُ .

روباشوف : نفس الفتـــاة البورجوازية الصغيرة ، يا لوبا ! ألم تتزوجى بعد ؟

لوبا : لا .

روباشوف : ولم لا ؟ **لوبا تهز كتفيها** . الا يوجد اطفال ؟

لوبا : لا . **تضحك** . انك لا تعرف لأى حد ثارت المشاعر هنا عنـــدما قرأنا انك حى وأنك عدت الى الوطن . رأينا صـــورة لك عندما وصلت الى موسكو ، وكان « زعيمنا » يحيطك بذراعه . كم كنت أشعر بالفخر .

سكتة مفعمة بالارتباك .

روباشوف **ينظر الى الخرائط** : هروتش فى ورطة .

لوبا : رجل مسكين . انها ليست غلطته .

روباشوف : غلطة من ؟

لوبا : ليست غلطة أحد . ان الرجال مرهقون بالعمل ، و .... **توقف نفسها فجأة** .

روباشوف : امضى فى حديثك .

لوبا : هذا كل ما هنالك . من أنا حتى أخبرك ؟

روباشوف : تكلمى ! تكلمى !

لوبا **تتدفق فجأة** : انهم خائفون . فى الأسبوع الماضى ، أخذ البوليس السرى أكثر من اربعين عاملا .

روباشوف : حسن ، يجب أن يستتب النظام . أن الاشتراكية لن تهبط علينا من سماواتك النظيفة اللطيفة .

لوبا : نعم . ولـــكن الآلات لا تعـــرف ذلك . أن الآلات تنهار ، هى أيضا .

روباشوف : لمـــاذا ؟

لوبا : نفس السبب . تشتغل فوق طاقتها .

روباشوف **يتنهد** : مشـــاكل ! يضع الخرائط بعيـــدا ، **يلتفت**

نحوها . خبرينى عن نفسك . هل لك عشاق ؟

لوبا **فى جد :** لا .

روباشوف **يغيظها :** لا ؟ ولم لا ؟ البسى قرطك القديم وابحثى لك عن عشيق .

لوبا : ظننت أنك مت ولم أرد البقاء فى الحياة . وصلت الى هذه النتيجة ، ولم ارغب فى أن أعيش فى عالم لا أدرى أنك فيه ، فى مكان ما .

روباشوف : تعالى هنا . **لوبا تذهب اليه . يحيطها بذراعيه ، ويقبلها .**

لوبا **تأخذها رعشة ، وتبكى :** ظننت أنك مت . حسبت أن النازيين قتلوك .

روباشوف **يدفن رأسه فى شعرها :** ان قتلى ليس سهلا .

لوبا : ولكنهم آذوك كثيرا . رجلاك المسكينتان ، لقد كسروهما ؟

روباشوف : الكسور تلتئم .

لوبا : كان شيئا فظيعا ؟

روباشوف : اننى أنسى . **يمسك بها على مدى ذراعيه ، فاحصا وجهها :** سعيد أن أراك ثانية ، يا لوبا !

لوبا : أتعنى ذلك ؟

روباشوف **كان الأمر لا يعنيه :** نعم . **يتجه بعيدا عنها ، يلتقط الخرائط .** لدى ما أمليه . أحضرى ورقا وقلم رصاص . واستدعى « هروتش » . أتوجس أننا سوف نتخلص من هذا الرجل الضعيف . **ينتقل بعيدا عنها ، الى الظلال .**

لوبا **هادئة جدا :** نعم ، أيها القوميسير .

منظر الذكرى يبهت ، روباشوف وحده ، يعتمد

على الحائط الحجرى ، يتنهد تنهيدة ثقيلة . تسمع ثلاث دقات . يستجيب :

٤٠٢ **يظهر ، يدق** : محزن ؟

روباشوف **يدق** : ماذا ؟

٤٠٢ **يدق** : أنت لم تعشق أبدا . الموت دون أن تعرف الهوى أبدا ، أمر محزن !

رعدة تاخذ روباشوف ؛ يتأوه ، يضع يده على خده المتورم ، ويرتعش .

روباشوف **يدق** : ليلة سعيدة .

٤٠٢ **يدق** : ماذا حدث ؟

روباشوف **يدق** : رجعت لى الحمى .

٤٠٢ **يدق** : مرة أخرى ؟ ربما يجب أن تجـرب طبيب السجن .

روباشوف **يدق** : لا ، شكرا .

٤٠٢ **يدق** : لا أعتب عليك . جزار !

كلاهما يدير ظهره للحائط ، يحطو خطوتين أو ثلاثا ، ثم ، فى وقت واحد ، يتجمدان ، ينصتان ، ينصتان كما لو كان الصمت نفسه يحوى صوتا ما ، منكرا ، لا يسمع .

روباشوف **ينتقل الى ٤٠٢ ، يدق** : ما هذا ؟

٤٠٢ **يدق** : هل شعرت به ثانية ؟

روباشوف **يدق** : فى الهواء ...

٤٠٢ **يدق** : نعم ... **الأضـواء تبهت على « ٤٠٢ » . روباشـوف يمسح جبهته المحمومة بظهر كمه ، فى بطء ، يخطو ذهابا وجيئة . لنفسـه** : ماذا لو ان « الزعيم » على صواب ؟ بالرغم من كل شىء . بالرغم

من القذر ، والدم ، والمفتريات ؟ لنفرض أن «الزعيم» على حق . **تأخـذه رعدة باردة . يلبس رداءه ، ويعـاود المشى جيئة وذهابا** . لنفـرض أن أسس المستقبل الحقيقية يجرى بناؤها الآن ؟ ان « التاريخ » وهو يبنى يكون دائما خلوا من الانسانية ، لا يرعى ذمة ولا ضميرا ، يشد لبناته بمعجون الأكاذيب والدم والقذر . **يرتعد ثانيـة ، يجذب رداءه ليحكمه على جسمه** . حسـن . وماذا بعد يا روباشوف ؟ كن منطقيا . ألم تعش دائما مرغمـا على توجيه الأمور الى خواتيمها النهائية ؟ **يزيد سرعته ذهابا وجيئة ، وهو يعد الخطى** . . : ١ . . ، ٢ . . ، ٣ . . ، ٤ . . ، ٥ . . ، ونصف ، ١ . . ، ٢ . . ، ٣ . . ، ٤ . . ، ٥ . . ونصف . **يقف فجاة ، اذ تهبط عليه فكرة** : نعم . نعم .

صـوت ضحكات بعيدة . ببطء تتبين شـخوص بعض عمـال الشحن جالسين ألى مائدة صـغيرة من الحديد على أحد أرصفة السفن فى ميناء مارسيليا . ياكلون خبزا وجبنـا ، ويشربون النبيـذ . يتكلمون بصوت مرتفع ، ويضحكون ضحكات صادرة من نفوس طيبة . رجل كبير الحجم متين البناء يلبس صـدرية بحار من الصوف وقبعة . يجلس الى جوار احدب قصير يرتدى قبعة (كاب) بحار وسترة جندى فى البحرية . الى جانب الأحدب القصير يجلس عامل ثالث من عمال الشحن . الرجل الضخم يقذف ببعض التفاح فى الهواء كما يفعل الحواة والمشعوذون ، والآخرون يرقبونه ويضجون بالضحك . على الحائط فوق المائدة

لوحة اعلانية حربية تطالب بتوقيع ((العقوبات)) ضد ((موسولينى)) لأنه اغتصب اثيوبيا . صورة بنيتو الهزلية تسيطر على المنظر ، الفك البارز ، العينان الضيقتان كنقطتين ، والطربوش الصغير على قبة رأسه الحليقة !

روباشوف ، يصحبه ((ألبير)) ، شاب فرنسى مثقف ، حاد التقاطيع ، له يدان معبرتان طويلتان لا تكفان عن التلويح والاشارة ، أسلوبه رقيق ينسيك أهو أنثى أم ذكر ، يقترب من المائدة . الأحدب القصير يراهما فينهض .

ألبير **يلوح له** : الرفيق لويجى ، رئيس اتحاد عمال الشحن . هذا هو الرفيق القادم من موسكو .

لويجى **يبتسم ، ويمد يده** : نشرفنا ، تشرفنا . **يشد على يد روباشوف بقوة** . أتسمح بالجلوس ؟ **يشير الى عامل الشحن الضخم الجثة** . الرفيق پابلو مدير أعمال الاتحاد .

پابلو **يسلم باليد** : ما رأيكم فى الدور الذى نؤديه هنا ؟

روباشوف : ان لديكم أقوى اتحاد لعمال الشحن فى أوروبا .

پابلو : لا خوف علينا ... سوف نزهق أنفاس الدوتشى .

لويجى **يقدم اليه عامل الشحن الثالث** : الرفيق اندريه ، أمين سرنا .

أندريه : أيها الرفيق . **يتصافحان . روباشوف والبير يجلسان .**

پابلو : تلك السفن الايطالية هناك ستتعفن قبل أن ينتهى هذا الاضراب .

لويجى : تشربان ؟

روباشوف : قهوة سوداء .

البير : دوبل فين !

بابلو **ينادى ، بعيدا** : واحد قهوة سوداء ، وأحد دوبل فين!

صوت **من بعيد** : حاضر !

بابلو **يشير بعيدا ، يحذر لويجى ، صائحا** : لويجى ، انظر ها هى تلك القطة تعود ثانية .

اندريه : ميوو ! ميوو ! -

لويجى **يقفز واقفا على قدميه ، مذعورا ، يصرخ فى القطة التى لا يراها أحد** : أخرجى ! فت ـ أخرجى ! **يقذف بملعقة عبر أرض المكان . القطة تهرب ، فيما يبدو . اندريه وبابلو يسقطان فى كرسييهما ، ممسكين بجانبيهما ، وهما يملآن القهوة بضحكهما الصاخب . لويجى ينظر اليهما ، يهز رأسه ، ويضحك فى خجل وارتباك .**

بابلو **الى روباشوف** : لويجى لا يحب القطط .

اندريه : ولكنها تحبه . تقبل عليه كأنه صحن قشدة .

لويجى : لست ادرى ما يدعوها الى ذلك ! **الثلاثة يضحكون. ضحك لويجى يستحيل الى سعال يمزق أوصاله . يدخل الساقي ، ويضع المشروبات على المائدة . يسكتون حتى يغادرهم .**

اندريه : عند ما هرب لويجى من ايطاليا ، كان يتعيش من ذبح القطط .

بابلو : وبيع جلدها .

لويجى : لم تكن لى أوراق لاثبات شخصيتى . فلم أستطع أن التحق بعمل .

روباشوف : أنت ايطالى ؟

لويجى **بلكنة اجنبية** : انا رجل لا وطن له . **يبصق نحو**

صورة بنيتوالهزلية. هربت منذثلاث سنوات. بنيتو كان يتعقبنى . دخلت هنا ، الى فرنسا ، بغير جواز سفر . بوليس فرنسى مسكنى . خذنى بالليل الى حدود بلجيكيــة . « اذا مسكناك هنا ثانيــة ، الله يســاعدك ! فى بلجيكا ؛ بوليس بلجيكى مسكنى . « بدون جواز سفر ؟ » خذنى حــدود فرنسية . اضربنى بالرجل ، اطردنى ثانى هنا فى فرنسا . ست مرات رايح جاى . « لويجى » كرة قــدم بشرية . **يقلب وجهه ، رفيقاه يضحكان ، تقديرا** . رجل بلا وطن . **يضحكان بصوت أعلى ، ويضربانه باليد على ظهره . يضحك** . حسن ، أستطيع الآن أن أضحك ، أنا أيضا . الشكر لپابلو . أقابله فى الســجن . هو يعطينى باسبورت . اعطينى شغل فى الاتحاد . انا اعيش من تانى .

پابلو **يميــل عبر المائدة ، يسر الى روباشــوف** : اذا اردت جــوازات سفر ، فعندى رجــل يصنع كل شىء . فنان حقيقى .

روباشوف **يومىء** : شكرا ، سأذكر ذلك .

البير **يقوم نصف قومة ، لها معناها** : الرفيق القــادم من موسكو يحمل رسالة الينا .

لويجى : الينا ؟ **يميلون جميعا الى الأمام ، فى انتباه .**

روباشوف : بشأن هذا الاضراب .

پابلو : آه ! الاضراب . لا تقلق ، لن يعطله شىء .

لويجى : هش ، پابلو ! **الى روباشوف** : الرسالة ؟

روباشوف : ان قوتنا فى الاتحاد السوفييتى ، كما تعلمون ، هى قوة الحركة الثورية فى العالم اجمع .

بابلو **يضرب المائدة بجمع يده** : تستطيع أن تعتمد علينا !

لويجى : هش بابلو ! **الى روباشوف** : الاضراب ؟

روباشوف : أحواض بناء السفن الايطالية فى سبيلها الى الانتهاء من صنع مدمرتين وطراد لحسابنا .

البير : لحساب « الوطن الأول للثورة » !

روباشوف : والحكومة الايطالية أبلغت موسكو أنه اذا أريد تسليم هذه السفن ، فانه يجب انهاء الاضراب فى الحال .

بابلو : ماذا ؟

اندريه : تريد أن نوقف هذا الاضراب ؟

عمال الشحن يتبادلون النظرات ، مصعوقين ، مذهولين .

لويجى : ولكن موسكو دعت العالم لتطبيق العقوبات .

البير : الرفيق القادم من هناك أوضح أن هذا هو لمصلحة الدفاع عن « الوطن الأول للثورة » .

بابلو **غاضبا** : ولكن الفاشيست يتزودون لشن الحرب .

اندريه : ليقتلوا عمال اثيوبيا !

لويجى : وليجعلوا منهم عبيدا !

البير : أيها الرفاق ، اذا أخذتنا العاطفة ، فلن نحرز تقدما، أبدا .

لويجى **باشارات عصبية ومنديله القذر فى يده** : ولكن هذا ليس صوابا ! لا نستطيع ان نفعل هذا ! هذا ليس من الانصاف ! هذا ليس من العدل ! هذا . . .

روباشوف **بسرعة ، وفى حدة** : هذا ليس مطابقا للقواعد التى وضعها المركيز اوف كوينزبورى . انه ليس كذلك . ولكن الثورات لا تقوم على قواعد « اللعب الشريف » .

هذا بديع فى غفلة « التاريخ » . ولكن فى الأزمات توجد قاعدة واحدة فحسب : الغاية تبرر الوسيلة .

لويجى : لا . هناك مبادىء ! ان العالم جميعا يتطلع اليكم هناك فى الصف الأخير ليتلمس المثل ...

يسعل بشدة فى المنديل .

اندريه **مشيرا الى البقع الحمراء القانيــة فى منديل لويجى :** هل ترون ؟ دم ! بنيتو أعطاه هذا النزيف ، وأخذ منه أخويه ، فى مقابله . لو علمتم ...

لويجى : ليس هذا بالشىء الهام .

پابلو : هذا عصيان لأمر الاضراب .

اندريه : أنا أعطى صوتى لجانب المضى فى الاضراب .

پابلو : الاضراب !

لويجى : اضراب ! رفعت الجلسة . **يقف .**

روباشوف **ينهض سريعا ، بطريقة حاسمة :** لا ! لا اضراب . أنا الرئيس هنا الآن . لدينا مهمة نؤديها هنا . وسوف تتم ...

البير : بالرغم من الجواسيس المشاغبين . **پابلو يمد يده عبر المائدة ، يمسك البير من صدر سترته ، ويهزه .**

لويجى **ينهض :** لا ، يا پابلو ! لا تفعل ذلك ! كف ! **پابلو يخلى البير . لويجى ، مخاطبا البير :** جواسيس ؟ لصالح من ، بالله ؟

البير **محنقا ، بصوت حاد :** لصالح الفاشيست .

پابلو : لاننا نرفض أن نشحن سفنهم ؟ تسمعون ، أيهـا الرفاق ؟ هذه نكتة ـ نكتة قذرة ، أليس كذلك ؟

لويجى **بصوت الهادىء :** لا ، ليست نكتة ، ياپابلو ، انها قذرة ، ولكنها ليست نكتة . **يرفع بصره الى صورة موسولينى**

الهزلية . النكتة ان بنيتو جعلنى أنضم الى الاشتراكية، أنا وأخوى الاثنين . كنا نعيش فى فورلى سنة ١٩١١ . كانت ايطاليا تبدأ الحرب ضد طرابلس . أقيم حفل كبير للدعوة ضد الحرب . أعلام . لافتات . . . وقف بنيتو على المنبر . بنيتو ، الاشتراكى المتواضع ، فى سترة سوداء قذرة ، وربطة عنق عقدت كالفراشة . **يقلد الجماهير** ، « برافو ، بنيتو ! » . **يقلد فى مبالغة هزلية اشارات موسولينى وتعبيرات وجهه** « أيها الاخوان العمال، العسكرية عدونا ! نحن نكره الحرب! » **يصبح هو الجمهور** « برافو بنيتو ! » **يعود الى تمثيل موسولينى** « اننا لا نريد نظاما حديديا ، لا نريد مغامرات استعمارية ! نريد الخبز والمدارس والحرية » . « برافو ، بنيتو » . **ينصح الجمهور الخفى ، غاضبا :** « لا تصفقوا لى ! لا تسيروا خلفى . اننى اكره عبادة الأصنام . اتبعوا ما أقول ! » **بصوت خفيض ، وهو يومىء الى نفسه** : بنيتو . **ينحنى مستندا على المنضدة ، الى « روباشوف »** : اتبعنا ما يقول، أخواى وانا . بعد عشر سنوات أعطى اخوى علاج زيت الخروع . قد يرى بعض السامعين فى ذلك نكتة ، أيضا . تعرفون ما يحدث عند ما يتدفق فى حلق أحدكم ربع جالون من زيت الخروع ؟ يمزق امعاءه قطعا ، قطعا . كما لو وضعت فى « مفرمة » الجزار . كان لى شقيقان . لم يكونا مثلى . كانا حسنى الهيئة ، جميلين ، كأن « ميكال انجلو » نحتهما من رخام كارارا ، احدهما داود والآخر موسى . أنا القبيح ، أنا وحدى الذى هربت . **بصوت خفيض ، فى حنان** كان لى شقيقان . .

والآن ... **بشراسة** : يا أم الاله ، أنا فاشي ! **يسعل في منديله وجسمه يتقلص بعنف في حركات لا ارادية .**
عدت الى حيث بدأت مع بنيتو . **يبصق نحو صورة « موسوليني » .**

پابلو **بحرارة** : أقسم بالله ان هذا كله صحيح .

أندريه : لويجي ليس فاشيا !

البير **ينهض وهو يشير بيديه النحيفتين في كل اتجاه** : الآن ، ايها الرفاق ، انكم تفكرون ميكانيكيا . من الناحية الجدلية ، الحقيقة هي ، أن كل من لا يخدم الأغراض البعيدة المدى « للحزب » هو عدو « للحزب » ولذلك ، حتى ولو كان يحسب نفسه ، شخصيا ، عدوا للفاشية ، فانه في الواقع ، موضوعيا ، من أنصار الفاشية ...

پابلو **هازئا ، يمسك ببعض الصحون ، يدفعها في الهواء ، يلعب بها ، ويمسكها ، ثم يقدمها الى « ألبير » مع انحناءة ساخرة** : هاك ! أنت تعملها خيراً مني .

روباشوف **وهو ينهض** : ستفرغ السفن غدا .

لويجي : على جسدي المسجى .

پابلو وجسدي .

اندريه : وجثتي .

روباشوف : تستطيعون ان تمزقوا أوراق لعبكم ! **سكون .**
تأجلت الجلسة . **مشيرا الى التليفون** : البير ! البير
يومىء برأسه ، ينتقل الى التليفون ، يلتقطه .

لويجي **للآخرين** : هلموا ! **الرجال الثلاثة يغادرون المكان ، ولويجي يسعل كما كان .**

البير **في التليفون** : اندريه ، پابلو ، لويجي . نعم . انشر


LES SANCTIONS!



صورهم فيجرائد الغد . الصفحةالأولى . جواسيس محرضون . وأى عضو فى « الحزب » حتى اذا خاطبهم سوف يفصل على الفور .

روباشوف : جوازات سفرهم !

ألبير : آه بالطبع . **فى التليفون :** أيضا ابلغ البوليس الفرنسي هنا آن وثائقهم الشخصية مزوره . اتخذ ما يلزم لاعتقالهم فورا ، وترحيلهم . **يعيد السماعة الى مكانها ، تظهر نواجذه فى ابتسامة عاطلة من كل معنى :** هذا يكفي . والآن صار لويجى القصير حقيقة رجلا بلا وطن !

روباشوف **فى جمود الحجر :** نعم . **((ألبير)) يضحك . ((روباشوف)) يوجه اليه نظرة ارتياح مضحكة ، ثم يعجز عن أن يحتملها ، فيصرخ فيه :** ماذا بحق الجحيم يضحكك ؟ هل ثمة شيء مضحك ؟ **الضحك يموت فى حلق ((ألبير)) . يبدو متألما متحيرا . ((روباشوف)) يبدى ملاحظة اشمئزاز ، وهو يغادر المكان .**

المنظر يبهت . ((روباشوف)) فى زنزانته مرة أخرى ، يذرعها وهو ثائر الأعصاب .

روباشوف : نعم ... نعم عشنا مرغمين على توجيه الأمور الى خواتيمها النهائية . كنت أفكر وأعمل كما كان مفروضا على ، قضيت على أناس كنت أحبهم ، منحت السلطان لمن كنت اكرههم ... حسن . « التاريخ » وضعك فى ذلك الموضع ، يا روباشوف . اكنت تستطيع أنتفعل غير ذلك؟.. ولكنى استنفدت الثقة التى وضعها فى . هل كنت محقا ؟ هل كنت

مخطئا ؟ انا لا ادرى . . . الواقع ، يا روباشوف ، انك لم تعد تعتقد انك فوق مستوى الأخطاء . لهذا ، أصبحت من الضائعين .

تسمع دقات . « روباشوف » ينتقل الى الحائط ويجيب . الانوار تصعد الى « ٤٠٢ » .

٤٠٢ **يدق** : علمت أن شيئا كان يجرى .

روباشوف **يدق** : اشرح .

٤٠٢ **يدق** : اعدامات .

روباشوف **لنفسه** : اعدامات ؟ **يدق** : من ؟

٤٠٢ **يدق** : لست أدرى .

روباشوف **يدق** : فى أى وقت ؟

٤٠٢ **يدق** : حالا . بلغها .

روباشوف **يذهب الى حائط آخر فى غرفته ، يدق ، يتلقى دقة اجابة ، ثم ياخذ فى ارسال الاشارة** : اعدامات حالا . أبلغ غيرك . **لنفسه ، وهو يذرع الغرفة** : ربما كنت أنت هذه المرة ، يا روباشوف . حسن . طالما فعلوها بسرعة . **يتوقف ، يدلك خده المتورم ، وهو يفكر** . ولكن ، هل هذا حق ؟ ما زلت قادراً على انقاذ نفسك . كلمة واحدة « اعترف ! » **بشراسة** : ماذا يعنى ما تقول أو ما توقع عليه ؟ أليس المهم أن تبقى ؟ أليس هذا كل ما له قيمة ؟ أن تعيش ؟ **اللوعة تنطق فى وجهه ، اذ تحضر ذكرى لم ينادها أحد .**

موسيقى تجهد ، متخاذلة ، لكى تسمع . صوت « لوبا » يدندن لحن « العاطفية » . السجن يختفى . نحن فى غرفة « لوبا » . بعد ظهر يوم أحد ، باهر

الضياء . الشمس تتدفق من النافذة ، تغمر الحجرة بدفء ذهبى . ((لوبا)) على ركبتيها ، تقص فروعا محملة بزهر التفاح من غصن كبير ممدود على ملاءة فرشت فوق الأرض . تقلم الفروع توطئة لترتيبها فى اناء للزهور على المنضدة . تدندن فى سعادة . ((روباشوف)) يدخل . يقف ، وهو يرقبها . تلتفت .

لوبا : أوه . لم أسمعك وأنت تدخل . **تنهض ، تتقدم منه ، ممسكة بالزهور ، كأنها تهديها اليه .**

روباشوف **يلمس الزهور** : بديعة ! من أين جئت بها ؟

لوبا : تمشيت طويلا فى الريف ، هذا الصباح . كانت ملقاة على الأرض . الغصن الذى يحملها كان قد سقط من شجرة تفاح عجوز . **لوبا تلاحظ أن وجه ((روباشوف)) مجهد ، وقد جعده التعب** . تبدو متعبا .

روباشوف : أنا متعب فعلا . كنت أمشى أنا أيضا .

لوبا : فى الريف ؟

روباشوف : لا .

لوبا **تنتقل الى المائدة ، ترتب الزهور فى الاناء** : اذا أحببت أن تمشى فينبغى أن تخرج الى المناطق الريفية . **تترك الزهور ، تفتح درجا ، وتخرج منه قضيبا من الشوكولاتة ، تعطيه اياه** . كان أمس يومى السعيد .

روباشوف : شوكولاته ؟

لوبا **فى صوتها انتصار** : قطعتان ! اكلت واحدة . كانتا آخر ما فى المخزن . وقفت فى الصف ثلاث ساعات . كان على أن أتعارك من أجلها ، ولكنى كسبت .

روباشوف **بصوت خفيض، رازحا تحت عاطفة عميقة** : أشكرك.

لوبا **تركع ، تقطع المزيد من الفروع ، وتتــذكر** : كان فى منزلنا بعض أشجار التفاح . كنا نســاعد والدنا فى تقليمهــا أيام الآحاد . كانت بينهــا شجرة عجــوز ضخمة ، خشــنة ، كلهــا التواءات ، تملؤها البروز الناتئة . ولكنها كانت عزيزه علينا ، تش ، كم بذل أبى من جهد لينقذها . كنا نسميها « مريضــة » والدنا . تنهض والزهور معها . وفى صــباح احد أيام الربيع ، أخــذنا معــه الى الخــارج لنشــاهد « المريضة » . كان أوان ظهور الزهر . ولم تحمل أشجار التفاح الاخرى زهرا كثيرا فى تلك السنة ، ولكن « المريضة » . . . انك لم تر أبدا ذلك القدر من الزهر على شجرة واحدة . لقد انتزعت انفاسنا . كانت السجرة مغطاة كلها بالزهر كأنه الثلج. وعندئذ قال أبى « سأفقد مريضتى » .

روباشوف : لماذا قال ذلك ؟

لوبا : ان شجرة التفاح تحمل أجمــل أزهارها عند ما توشك على الموت .

روباشوف : لم أكن أعرف ذلك .

لوبا : كان قوله حقا . فى السنة التالية ، كانت «المريضة» قد ماتت .

روباشوف : أوه !

لوبا : عند ما أعمل فى المصنع ، كل شىء يبدو كأنه جزء من الحقيقة الواقعة ، ولكن عند ما أخرج الى الريف ، فان الدنيا ، فجأة تصبح مفعمة بالأسرار . **((لوبا)) تنظر الى ((روباشوف)) . يجلس ببطء ، وعلى وجهه**

تعبير مضن . ماذا ؟ هل تشكو من شيء ؟

روباشوف **يهز رأسه** : متاعب .

لوبا : فى المصنع ؟

روباشوف **يذوق الشوكولاته** : هناك أيضا . فى كل مكان متاعب . **ينظر الى الشوكولاته ليجد مهربا** : هذه الشوكولاته مصنوعة من فول الصويا . طعمها يكاد يشبه الشوكولاته الحقيقية . **يتنهد . يتوقف** : لوبا . . .

لوبا نعم ؟

روباشوف **يضع الشوكولاته على المائدة بعناية ، يتكلم بهدوء وباتزان :**

جاءت الأوامر امس فى وقت متأخر ، بعد خروجك . يجب أن تعودى الى موسكو ، **يد ((لوبا)) التى كانت ترفع فرعا من الزهر الى الآنية ، تتجمد فى الهواء .** **يجب أن تسافرى الليلة .**

لوبا الليلة ؟

روباشوف **يتقى نظرتها** : تلك هى الأوامر . هناك قطار يبارح فى الساعة العاشرة .

لوبا **وهى تحاول يائسة أن تتحكم فى رعبها المتزايد :** لماذا أرسل الى هناك ثانية ؟

روباشوف : انهم يفحصون الملفات وسجلات الانتاج .

لوبا : هل سأتغيب طويلا ؟

روباشوف : لا أعرف هذا ، يا لوبا .

لوبا : لماذا لم تخبرنى فى الليلة الماضية ؟

روباشوف : أردت أن أبحث الموضوع .

لوبا : ولكن لدى عملا كثيرا فى المكتب أريد تصفيته . وأشياء كثيرة . . . .

روباشوف **ينهض :** المسألة فيها تعجل ، أنا اعرف . ولكن هذا هو أسلوب « المكتب » فى انجاز الأعمال .

لوبا : هل عملى لم يكن داعيا للرضى ؟

روباشوف : كان ممتازا . .

لوبا **الرعب الآن فى صوتها :** اذن لماذا استدعى ؟

روباشوف **بصبر يخفف عنها :** قلت لك انهم يفحصون الدفاتر .

لوبا **فى غباء ، وهى تجفف يديها المبتلتين بقطعة قماش :** هل سيأخذ أحد وظيفتى هنا ؟

روباشوف : فى فترة غيابك فقط .

لوبا **تلتفت الى « روباشوف » ، كأنها طفلة :** أنا لا أريد أن اذهب .

روباشوف لابد يا لوبا .

لوبا **تنتقل الى « روباشوف » ، مسترحمة :** ألا تستطيع مساعدتى ؟

روباشوف : أنت فاهمة ان لى أعداء . سيصبح الأمر فى غير مصلحتك ، اذا أنا تدخلت .

لوبا : فى غير مصلحتى ؟

روباشوف : فى غير مصلحتنا . سأبدو كأنى أريد أخفاء شىء .

لوبا **حبها له وخوفها عليه يقفان فى الطليعة ، تفحصه :** هل انت فى ورطة ؟

روباشوف : لا .

لوبا : أنت متأكد ؟

روباشوف : نعم . **وقفة طويلة .**

لوبا **ببساطة تامة وبغير لف أو دوران :** انهم لن يعتقلونى ؟

روباشوف : طبعا لا .

لوبا : أنا خائفة . **تجلس ، تنظر حولها ، عاجزة ، حيوانا وقع فى فخ .**

روباشوف **يذهب اليها ، يضع يديه على كتفيها ، مخففا عنها :** لست بحاجة لأن تخافى . اذا حققوا معك ، قولى لهم الحق . ليس لديك ما تخشينه .
فقط قولى لهم الحق .

لوبا **تهمس** : أنا خائفة . **فجأة تنفجر أمواج الفزع ، وتصرخ « لوبا »** : أنا لست ذاهبة الى موسكو . لن أذهب . .

روباشوف **بسرعة ، محاولا أن يلجم الفزع** : اذن سيبدو الأمر كما لو كنت ارتكبت شيئا . أليس كذلك ؟

لوبا **تتجه نحو « روباشوف » وقد طار صوابها :** ولكننى لم أفعل . لم أفعل .

روباشوف : أعلم ذلك ، يا لوبا .

لوبا **وقد زاد جنونها ، وارتعش جسدها ، واحتد صوتها الى منتهاه** : يا الهى !
اريد أن أهرب ! اريد أن أختفى ! اريد الفرار .

روباشوف **يقبض على ذراعيها بقوة** : لن يحدث لك شىء . ألا تفهمين ؟ لست متهمة . لن يحدث لك شىء ! أبدا ، أبدا ! **يحتضنها بشدة ، ويقبلها . تتعلق به بكل قوتها ، بوحشية ، وتبادله العناق ، بشغف ... ثم تسترخى ، وتنسحب ، تنظر اليه ، فى ابتسامة حزينة ، وتهز رأسها .**

لوبا : أنا آسفة . أنا غبية . **تدور لتجمع الزهر من الأرض** . سأسترد هدوئى . **وهى تركع** . الساعة العاشرة ؟

روباشوف : الساعة العاشرة .

لوبا : والتذاكر ؟ والاذن بالسفر ؟ **« روباشوف » ينتزعها من جيبه ويقدمها اليها . تاخذها بسرعة . تنهض ، ثم ، بصوت خلا من كل تعبير** : على أن أعد حقائبى .

روباشوف : نعم ، سأذهب .

لوبا : لا تستعجل .

روباشوف : هذا أفضل شيء .. لكلينا .. فى هذه الظروف .

لوبا : نعم . احسبه كذلك . **تنظر الى طاقة الزهر فى يديها** . كم يكون الأمر بديعا لو كنا نملك أن نقول لهم « لا » ! لو كنا نستطيع كلنا أن نذهب ونجيء ، كما نشاء ؟

روباشوف : ولكننا لا نستطيع ، يا لوبا . ان هذا يكون فوضى. ليس لنا هذا الحق . **ينتقل الى الظلال** .

لوبا **بصوت لا يكاد يسمع** : لا . بالطبع لا . ليس لنا هذا الحق .

الزهور ، الغرفة ، ضوء الشمس ، كل ذلك يبهت ، تاركا « روباشوف » وحيدا فى غرفة سجنه الرطبة ، يحدث نفسه .

روباشوف : وهل « أنا » لى الحق فى ان اقول « لا » ؟ حتى الآن ؟ هل لى الحق فى أن أبارح المكان ــ أن أخرج ، أن أموت من مجرد التعب ، والاشمئزاز من نفسى ، ومن الغرور ؟ هل لى هذا الحق ؟

تصعد الأنوار الى الزنزانات الأخرى ، المسجونون ، آذانهم الى الحوائط ، يتسمعون الأنباء . « ٢٠٢ » تلقى رسالة لتوه . ينتقل الى حائط « ٣٠٢ » .

٢٠٢ يدق . انهم يقرأون عليه الآن حكم الاعدام . ابلغ

	غيرك . **يعود ثانية الى المركز الآخر ، لينصت .**
٣٠٢	**يعبر . يدق على حائط ((٤٠٢))** : انهم يقراون عليه الآن حكم الاعدام . أبلغ غيرك . **يعود ثانية ليستمع.**
٤٠٢	**يدق** يقراون حكم الاعدام الآن . ابلغها .
روباشوف	**يدق** من هو ؟ **ولكن ((٤٠٢)) كان قد عاد أدراجه ليستمع للاشارة التالية . ((روباشوف)) يعبر الى الحائط الخلفى ، يدق** : يقروان عليه الآن حكم الاعدام. ابلغها . **((روباشــوف)) يقفل راجعــا الى حائط ((٤٠٢)) ليستمع .**
٢٠٢	**يعبر نحو الحائط ، يدق الى ((٣٠٢))** : انهم آتون به ، **يصرخ ، ويضرب بيديه ورجليه** . ابلغها . **((٣٠٢)) يعود الى مركزه الآخر .**
٤٠٢	**يدق الى روباشوف** : انهم آتون به ، يصرخ ، ويضرب بيديه ورجليه . ابلغها .
روباشوف	**يدق مستعجلا** : من هو ؟ **ولكن ((٤٠٢)) كان قد رجع الى الحائط المقــابل ليسمع المزيد من الأنباء . ((روباشــوف)) يقفل عائدا الى الحــائط الخلفى ، ويدق** : انهم آتون به وهو يصرخ ويضرب بقوة. أبلغها ! **يتحرك عائدا الى حائط ((٤٠٢)) ويدق بالحــاح :** من هو ؟ **((٤٠٢)) ينتقل الى حائط ((روباشوف)) ، يستمع. ((روباشوف)) ، بكل وضوح ؛** ماهو اسمه ؟
٤٠٢	**يدق** : ميشا بوجروف .
روباشوف	**يتخاذل فجاة ، يمسح العرق من على جبهته ، ويقذف ذراعيه الى الحائط ليستند اليها لحظة ، يمشى الهوينا نحو الحائط الخلفى ويعتمد عليه بشدة ، وهو يدق الى ((٤٠٢))** : ميشا بوجروف ، البحار السابق على

البارجة « بوتمكين » ، قائد أسطول البلطيق ، حامل وسام العلم الأحمر ، يقودونه الى الاعدام ! أبلغها .

٢٠٢ **يدق : الآن ! يعبر نحو الباب . ويأخذ فى الطبل على سطحه الحديدى .**

٣٠٢ **يدق : الآن ! يعبر نحو الباب وياخذ فى الطبل على سطحه الحديدى .**

٤٠٢ **يدق : الآن ! يعبر نحو الباب وياخذ فى الطبل على سطحه الحديدى .**

روباشوف **يدق : الآن ! يجر نفسه عبر الغرفة وياخذ فى الطبل على سطح الباب الحديدى .**

السجن يهتز من ضربات الطبل المكتوم ويقف الرجال ساكنو الزنزانات ، الذين تتكون منهم السلسلة السمعية ، يقفون خلف ابوابهم كانهم حرس شرف فى الظلام ، يخلقون شبيها خداعا لصوت الدقات الرزينة المكتومة المنهمرة على الطبول ، تحمله الريح من مكان بعيد . فى الطرف الآخر من الدهليز ، تتعالى أصوات الأبواب الحديدية وهى تفتح وتغلق . يسمع صليل حزمة من المفاتيح . يغلق الباب الحديدى ثانية . ويتعالى الطبل فيبلغ قمة عالية مكتومة ، يثبت عندها . أصوات انزلاق الأبواب وصريرها تقترب بسرعة ، يسمع أنين ونهنهة ، كانها من طفل مذعور . اشكال اشباح يدخل المجال المنظور . شخصان عليهما ضوء باهت ، كلاهما فى بزة عسكرية ، يجران فيما بينهما ثالثا ، يمسكان به تحت أذرعهما . الشخص الاوسط يتدلى بينهما بلا حركة ولكن فى تصلب ، ممددا فى قبضتهما بكل

طوله ، وجهه متجه نحو الارض ، وبطنه مقوسة الى أسفل ، رجلاه مقطورتان خلفه ، وحذاؤه يحك الأرض عند طرفى القدمين . خصلات بيضاء من الشعر تتدلى على وجهه ، والفم مفتوح . وبينما هم يدورون فى ركن الدهليز ويفتحون الباب المسحور الى القبو فى باطن الأرض ، نرى أن هذا الوجه المعذب الذى شوهته الجراح ، هو وجه « بوجرودف » .
« جلينكين » يظهر الآن ، ويهمس فى أذنه .
« بوجروف » ينتصب ، ينظر حوله ، يقذف بآسريه لحظة ثم يئن ببعض الحروف المتحركة ، آنينا مكتوما :

بوجروف : أو .. آ .. آه ، أو .. آ .. آه ! ثم بمجهود جبار ، ينطق كلمة وهو ينفخ : روباشوف ! روباشوف !

روباشوف يخبط على الباب بقوة ، كالمجنون ، ويصرخ : ميشا ! ميشا !

السجناء الآخرون يزيدون سرعة طبلهم .
« بوجروف » يمر خلال باب القبو ، الذى يسمع صوته « كلنج » وهو يقفل ، ونستطيع أن نسمع صوته ، وهم يجرونه هابطين الى قبو الاعدام ، يضعف ثم يضعف ، وهو ينادى « روباشوف ! روباشوف ! » شيئا فشيئا ، يخفت الطبل ، حتى يموت ، ويختفى السجناء الآخرون ، ويستقر على السجن صمت عميق مرعب . « روباشوف » يقف وسط زنزانته ، قابضا على معدته ليمنع نفسه من القىء ، يمشى ، وهو يكاد يسقط ، نحو سريرالسجن ، يرتمى فوقه ، ملتحفا بظلام شامل .

صمت طويل . من مكان ما ، من فوق ، يصيح أحد السجناء : « انهضوا ، أيها التعساء فيالأرض ! »
النور الكهربائى فى غرفة ((روباشوف)) يضاء فجاة . ((ايفانوف)) واقف بجوار سريره ، وفى يده زجاجة ((براندى)) وكاس . ((روباشوف)) يحملق فى الفضاء ، بعينين كالزجاج ، لا تريان .

ايفانوف : هل تشعر أنك بخير ؟

روباشوف : الجو حار ! افتح النافذة ! **يرفع بصره الى ((ايفانوف)) :** من انت ؟

ايفانوف : هل تريد شيئا من « البراندى » ؟ **((روباشوف)) يتبعه بعينيه ، منطفئا ، لا يفهم . ((ايفانوف)) يملأ الكاس ، يمد بها يده الى ((روباشوف)) . يجلس بجانبه .** اشرب هذا . **((ايفانوف)) يمسك بالكاس ويسقى ((روباشوف)) منها ، كما يسقى الطفل .**

روباشوف : **يأتى الى آخرها ، ثم ينظر اليه :** هل اعتقلوك ، أنت أيضا ؟

ايفانوف : لا . لقد جئت لزيارتك . **يضع الزجاجة والكأس على الأرض .** أظن أنك مريض . هل تشعر بألم ؟

روباشوف : لا .

ايفانوف : خدك متورم . اظنك تشكو من الحمى .

روباشوف : هات سيجارة . **((ايفانوف)) يعطيه سيجارة ، ويشعلها له . ((روباشوف)) يستنشق الدخان عميقا ، فى جوع . بعد لحظات قليلة من هذا ، تستوى المرئيات فى عينيه ، ويصبح تنفسه أقرب الى المعتاد ، ينظر الى ((ايفانوف)) الذى ينفخ الدخان ، صابرا ، فى حلقات :** كم الساعة الآن ؟

ايفانوف : منتصف الثالثة ، صباحا .

روباشوف : كم مضى على هنا ؟

ايفانوف : غدا تكمل خمسة أسابيع .

روباشوف **يفحص « ايفانوف » . يبدأ ذهنه فى الصفاء الآن :** ماذا تفعل هنا ؟

ايفانوف : أريد أن أحدثك . مزيدا من « البراندى » ؟ **يلتقط الزجاجة .**

روباشوف **الحديد يزحف فى صوته :** لا ! اشكرك .

ايفانوف : ارقد . استرح .

روباشوف **ينهض قاعدا ، يبصق بعيدا :** يا قواد ! أخرج من هنا . انت قواد كبقية الآخرين ! انك تبعث الاشمئزاز فى نفسى ــ انت وخدعك القذرة .

ايفانوف : خدع ؟ **يملأ كاسا .**

روباشوف **كالمسعور :** تجرونه بباب زنزانتى ــ بوجروف ــ أو ما أبقيتم منه ، فاذا ما قلبتم أمعائى ، أتيت كالمنقذ ومعك زجاجة من « البراندى » ؟ تظنون أننى أقع فى حبائل خدعة رخيصة كهذه ؟ تحسبون انفسكم قادرين على استدراجى لكى أعترف ، بزجاجة براندى ؟

ايفانوف **يبتسم ، ويظهر أسنانه الذهبية :** انت حقا تعتقد اننى افكر هذا التفكير البدائى ؟

روباشوف : خذ تفكير البغايا الذى تفكر به واخرج من هنا ، الى الجحيم ! ان رائحته النتنة تخنقنى !

ايفانوف **يشرب :** حسن جدا . سأخرج ، آن كنت تريد .

روباشوف : لا يمكنكم أن تتخيلوا مدى اشمئزازى منكم ، انتم اجمعين .

ايفانوف : ولكن أولا ، اسمعني لحظة واحدة .

روباشوف **يصرخ** : لا اريد أن أسمع مزيدا ...

ايفانوف **يصرخ أعلى منه فيسكته** : أحسب أنك مجبر على أن تسمع ! **سكون ، بلطف** : الآن اسمع ـ منطقيا وفى هدوء ، ان كنت تستطيع . أولا ، لأزيل كل شك ، « بوجروف » أعدم فعلا رميا بالرصاص !

يقع صمت طويل بينما « روباشوف » يستوعب الخبر ، ثم :

روباشوف **بصوت خفيض ، مخنوق** : حسن !

ايفانوف : كما انه عذب أياما عديدة .

روباشوف : كان هذا واضحا .

ايفانوف : كان هذا مقصودا . ولكنى لم افعله . **يجلس الى جوار روباشوف ، ويضع الزجاجة على الأرض .** سأضع حياتى بين يديك ، ياكوليا . **روباشوف ينظر اليه** . اذا ذكرت ما أقوله لأى شخص ، فاننى أضيع . ان الخدعة القذرة ، كما تسميها ، دبرها زميلى الشاب جليتكين ، مخالفا بذلك أوامرى ، أنا ما كنت لأقع فى هذا الخطأ ، أبدا ، ليس خشية عليك ، ولكن لأنه عمل سيكولوجى فاسد . انك أخيرا كنت تقاسى من عذابات ضميرك . ومشهد « بوجروف » ما كان الا ليضاعف ذلك العذاب . وهل تقع أخطاء كهذه الا من غبى مثل جليتكين ؟ بل لقد ظل يستحثنى على أن أطبق عليك أساليبه تلك .

روباشوف : فى استطاعتكم أن تعذبونى . ولكنكم لن تفيدوا من وراء ذلك شيئا .

ايفانوف : اتعتقد ذلك ؟ **يبتسم ابتسامة من لا يؤمن . يمد يده**

باحثا عن الزجاجة . انت لا تعرف جليتكين . **يملأ الكأس ، يتفحصها** . انه شيء جديد فى العالم — لم يكن يربطه بالماضى حبل سُرى . لقد ولد ولا سرة له . فهو ينكرنا ، نحن القرود العجائز ، بصفة عامة — وينكرك ، أنت ، بصفة خاصة . **يهز رأسه نحو روباشوف** . لعلك فىذلك اليوم أظهرت له أسوأ جانب فيك . وهذا لم يعجبه . **منذرا** . انه يريد ان يضع عليك يديه الكبيرتين !

روباشوف : انا مستعد تماما للموت .

ايفانوف : ولكننى لا أرضى أن أتركك تموت . ان استشهادك ، ياكوليا ، يتلخص فىأن لايسمح لك بأن تصبحشهيدا . وليس هذا هو السبب فى انك هنا . نحن نريدك ، ونريدك أن تكون منطقيا ، لأنك عند ما تدرس الأمر بفكر صاف ، فعندئذ ، وعندئذ فقط ، ستدلى باعترافك . أليس هذا هو الصواب ؟

روباشوف : اليك عنى . لا فائدة .

ايفانوف : هلتعتقد أننى أقول لك الحق ؟ **سكتة** . هل تعتقد؟

روباشوف : نعم . أظن ذلك .

ايفانوف : اذا لماذا تريدنى ان أذهب ؟ **ينثنى الىالأمام ، ويدفع وجهه فىوجه روباشوف ، ساخرا** . لأنك خائفمنى . لأن أسلوب تفكيرى هو أسلوبك . وأنت تخشى صدى أفكارى فى راسك أنت .

روباشوف **وقد فرغ صبره** : لقد شبعت منأسلوب التفكيرهذا . ظللنا نلهث به وراء الدماء ثلاثين عاما . كفى !

ايفانوف : « أبعد عنى ، يا شيطان » . **ينهض ، ينتقل الى الباب ، يحدق من خلال ثقب المراقبة بالباب ، يلتفت**

الى الخلف : فى العهد القديم ، كان الاغراء جسديا . كان يتخذ هيئة نساء عاريات صغيرات ، يجرين حولك ، ويرجرجن اشياءهن فى وجهك . ولكنه اليوم ذهنى . يتخذ هيئة الحجة العارية ، تدفع الحقائق فى وجهك . ان القيم تتغير . **يشرب** .

روباشوف : لماذا عذب بوجروف ؟

ايفانوف : كان عنيداً ، مثلك .

روباشوف : هل سمعته وهو ينهنه ؟

ايفانوف : لا ، لم أسمعه . ولكنى سمعت ورأيت غيره .

يدور نحو روباشوف ، ويطعنه بأصبع الاتهام .

وكذلك فعلت انت . كذلك فعلت انت يا « قائدى » !

يعرج نحو روباشوف ، ووجهه ممدود الى الأمام ، يتهمه ويتحداه . ثم ماذا فى ذلك ؟ ان الضمير لا يلائم الرجل الثورى ، كما لاتلائمه السمنة والذقن المزدوج. منذ متى اكتسب نيقولاى سيمونوفتش روباشوف ذلك الضمير البورجوازى ؟ هوم ؟ متى ؟ **سكتة** . هل اخبرك ؟ هل أدلك على اليوم ، والساعة ، والدقيقة ؟ منذ تسعة أشهر ، واسبوعين ــ الساعة ١ر٣٠ صباحا ــ عندما أعدمت سكرتيرتك الصغيرة ، لوبا لوشنكو ، رميا بالرصاص . كنت نائما معها ، اليس كذلك ؟ انها الآن ميتة . وعلى ذلك فانك تتصور الدنيا كبؤرة فسق وبغاء فى دنيا الآخرة من اجل عاطفتك . ماذا يهم شكل نهدى لوبا لوشنكو ، او نهنهة بوجروف ؟ ماذا يهم ذلك فى العالم الجديد الذى ننشئه ؟

روباشوف : بوجروف مات ، وهي ماتت . في استطاعتك الآن أن تشعر بشيء من الشفقة .

ايفانوف : ان لى عيوبا كثيرة ، فأنا أشرب ، بعض الوقت كما تعلم ، كما أنني تعاطيت المخدرات .... ولكني حتى الآن تفاديت السقوط الى نقيصة الشفقة . أن نقطة منها كافية للقضاء على الرجل الثورى .

يملأ كأسه . الاغراء الكبير ! أليس هو أن تنزلق الى تجنب العنف ؟ الى مصالحة النفس ؟ هوم ؟ **يشرب** . انى أفضل النشوة التى أخلقها فى كأس خمرى ، فانك تتخلص منها فى الصباح .

روباشوف **بعد صمت طويل ، يهز رأسه ، يغمغم حزينا** : حلمنا الذهبى ! **ثم بوحشية** . هل تحقق ؟ أم بلغنا غاية الفشل !

ايفانوف **يضع الكأس على الأرض ، ينطق بعناية** : أهذا صحيح؟ **يشعل سيجارة أخرى** . ألم نأخذ الأرض من الملاك ؟ **ينفخ حلقة من الدخان** . الم نحررهم من الاستغلال الصناعى ؟ **ينفخ حلقة أخرى** . وللمرة الأولى فى التاريخ ، قامت ثورة لها مهمة تؤديها .

روباشوف : مهمة ؟ **يقفز واقفا على قدميه ، فى غضب** : مهمتها ان تأخذ الأرض ، فى سنة واحدة ، وتترك خمسة ملايين فلاح وعائلاتهم يموتون من الجوع ، عمدا ؟ ! مهمتها ، ونحن نحررالناس من الاستغلال الصناعى ، أن ترسل عشرة ملايين منهم الى الأعمال الشاقة تحت ظروف أسوأ من عبيد البحر ؟ **يخلع نظارته بعصبية ويلوح بها نحو روباشوف** . مهمتها ، عند اختلاف الرأى ، أن لا يعرف الزعيم ـ الواحد

القهار – الا حجة وحيدة ، الموت ! سواء أكانت مسألة غواصات ، أم سماد طبيعى ، أم سياسة الحزب فى الهند الصينية ؟ الموت ! **يعيد نظارته ويحملق فى ايفانوف .**

ايفانوف **ينهض ، محاربا** : حقا ان تلك المرأة قد أطارت عقلك ! ماذا عن الملايين الذين يهلكون جوعا فى الصين والهند ، ويفتك السل بهم فى حقول الأرز ومزارع القطن ..؟

روباشوف : نحن فى السلبيات على اتفاق . فالى اين أدت بنا ؟

ايفانوف : حسن ! قل لى أنت .

روباشوف : مستوى معيشتنا أحط من أكثر البلاد تخلفاً فى اوروبا . وشروط العمل أقسى ، والعقوبات أبعد عن الانسانية . وبلدنا تحت حكم الشرطة . **يعود فيخلع نظارته ليؤكد ما يقول** . لقد مزقنا عن الناس الجلد الحى ، وتركناهم بالنسيج العارى ، وعضلاتهم وأعصابهم ترتعد .

ايفانوف : حسن ، وما عيب ذلك ؟ **بحرارة ويقين** . ألا ترى هذا بديعا ؟ هل حدث شىء أبدع من هذا على الاطلاق فى التاريخ ؟ اننا نمزق الجلد القديم عن الجنس البشرى ونمنحه جلدا جديدا ! هذه شغلة يعجز عنها ضعاف الأعصاب . ولكنها فى وقت ما كانت تملؤك تحمسا .

روباشوف : أعلم ذلك .

ايفانوف : أنظر مقالات المعارضين لتشريح الحيوانات الحية . عندما تقرأ عن كلب مسكين استؤصل كبده لتوه ، وكيف انه يئن ويتوجع ويلعق يد معذبه ، عندئذ ينشق قلبك . ولكننا اذا أصخنا لهؤلاء العاطفيين ،

فاننا لن نصل الى علاج للتيفوس ..، أو الكوليرا ..، أو الدفتيريا ...

روباشوف : أدرى ، أدرى ، أدرى ! **يتحول بعيـدا ، يجلس ساهما .**

ايفانوف **يلاحقه بلا هوادة :** لا شك أنك تدرى .. خيرا منى ، ومع ذلك ما زلت تلح فى أن تكون شهيدا ؟ **ينتظر ردا ، وأخيرا يرمى بيديه الى أعلى ، وهو يزوم فى اشمئزاز :** حسـن ، كما تحب . **يلتقط الزجاجة والكأس .** اذا كنت تريد أن تلقى بنفسك فى مزبلة التـاريخ ، فانى عاجز عن أن أمنعك . اذهب . دع جليتكين يستأثر بك . فأنت له . **يدور نحو الباب ، يتوقف ، يلتفت ثانية ، وفى صـوته نعومة .** فقط قل لى ، لمـاذا ؟ لماذا أنت مغرم لهذا الحد بالموت ؟ ان له لرائحة كريهة ! لماذا تريد أن تموت ؟

روباشوف **بصوت مبحوح :** أنا لاأريد أن أموت . ولا أحد يريد.

ايفانوف : أنت تتصرف كأنك تريد .

روباشوف : أنا أتصنع ذلك . **يقبض على بلعومه .** من هنا الى أعلى ، أنا ممتثل ، ومن هنا الى ادنى ، أنا خائف .

ايفانوف : ومع ذلك فأنا أعرض عليك حياتك .

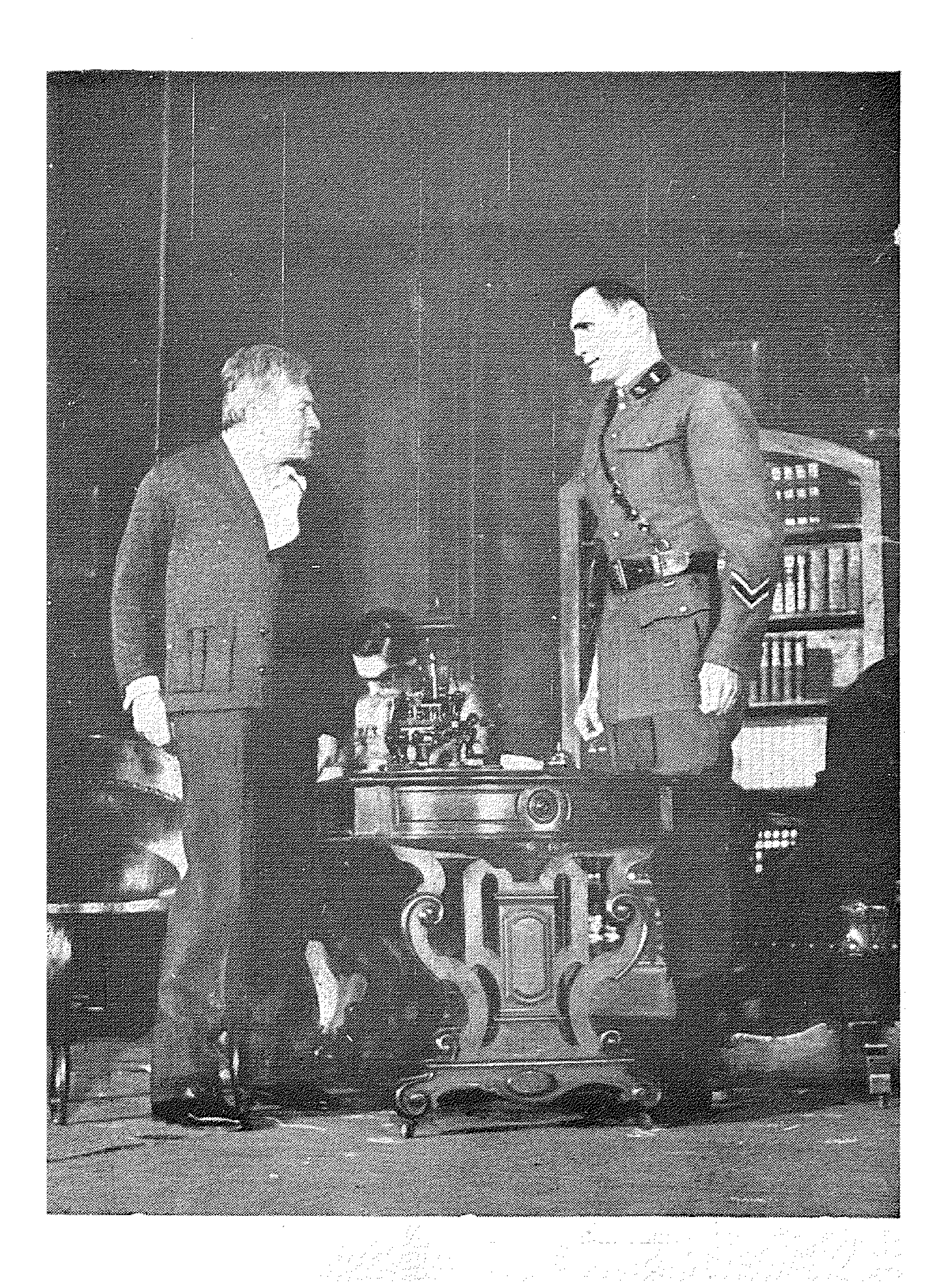
روباشوف : وما هى شروطك ؟

ايفانوف : الشروط الوحيـدة التى تهم . أن تظل مفيدا . **يضع الزجاجة على الأرض ، تنوه يداه باحثتين فى جيوبه .**

روباشوف : أن أقوم بدور المغفل فى محاكمة عامة ؟ لا ، شكرا . شروطك أبهظ مما ينبغى .

ايفانوف **وهو يخـرج مكاتبة رسمية ، ويدفع بها تحت انف**

روباشوف : هاك تقرير سرى تلقيته اليوم .
روباشوف يتناوله ، ينظر اليه. اقرأ مابين السطور.
روباشوف **بجفاف :** لست بحاجة الى تعليماتك ، شكرا .
يدرس الوثيقة .
ايفانوف : ماذا ترى ؟
روباشوف : الحرب ! انها آتية .
ايفانوف : متى ؟
روباشوف : ذلك يتوقف على كيف نلعب أوراقنا . ربما بعد سنين ، ربما بعد شهور .
ايفانوف : الحرب الأخيرة أعطتنا روسيا ، يا كوليا . والحرب القادمة ستعطينا العالم ، أليس كذلك ؟
روباشوف : ممكن ، لو ....
ايفانوف : لو ...؟ حسن ! **يجلس الى جواره .** ان فى « الحزب » انشقاقا ، فى البلاد كلها ، الناس قلقون ، ساخطون ، واقتصادنا محطم . الصدع يجب أن يرأب ، أولا ؛ وأنت ، وهؤلاء المفكرون أمثالك ، يجب أن ترقأوه .
روباشوف : ومن هنا : المحاكمات ! **يرد اليه الوثائق ، ثم ، منهكما .** انها لأبدع من الأوبرا ، أو المسرح .
ايفانوف : الهدف ، يا كوليا . انه آت ، انه يقترب . اسمع ! فى استطاعتك أن تسمعه ، فى الريح . وعند ما يأتى ذلك اليوم ...
روباشوف : فان أمثال جليتكين يتولون السلطة .
ايفانوف : هؤلاء بهائم ، لا وزن لهم .
روباشوف **ينزع نظارته بعنف ، ويحدق فى ايفانوف :** من جعل منهم بهائم ؟ نحن ! ان عبادتهم البيزنطية « للزعيم »



أمر مخيف . وجهلهم المصقول يثير الاشمئزاز .

ايفانوف : أكان يمكن أن نفيد منهم بصورة أخرى ؟

روباشوف : هل كنت تأتمنهم على ثورتنا ؟

ايفانوف : ماذا تظن السبب فى أننى أقامر برقبتى لكى أنقذك ؟ ان ذهنك هو الذى أريد أن انقذ . وعقلك سيدخر لليوم الموعود . سنتخلص منهم . ستكون الحاجة اليك أشد منها فى أى وقت مضى .

روباشوف : **يفحصه ، يلبس نظارته ثانية ، يهز رأسه** : لو كنت أحسب . . .

ايفانوف **بقوة** : فكر فيها ! فكر . **يرقب روباشوف وهو يصارع الفكرة ، وعندئذ يميل الى الأمام ، وبصوت خفيض** : ماذا تستطيع أن تختار ، غير هذا ؟ أن تصبح شهيداً من « شهداء المسيحية » ؟ من أجل « الدمقراطيات الغربية » ؟

روباشوف **ينهض ، غاضبا** : عم تتحدث ؟ الدمقراطيات الغربية ؟ ما شأنى بهؤلاء الانسانيين المتداعين ، أشباح الديانة والخرافات ؟

ايفانوف **يدفع حجته دفعا ، ويشحذ سخريته** : هل تريد من صحافتهم « الحرة » ، التى كرهت ألمعيتك وانت حى ، أن تجعل منك قديسا بعد أن تموت ؟

روباشوف : الصحافة الحرة ؟ هؤلاء القذرون من خدام الملكية المقدسة ؟ ما قيمتهم عندى ؟ أحب الى أن أصبح كومة من سماد فى أحد حقول روسيا . **يصقل زجاج نظارته بقميصه ، فى عصبية .**

ايفانوف : ومع ذلك فسوف يضعونك فى فترينة زجاجية .

« القديس روباشوف » ــ استشهد من أجل « العالم الغربى » ! هل هذا ما تبغى ؟

روباشوف يحدجه بنظرة ، ثم ينظر بعيدا ، يزن أفكاره ، يعود الى لبس نظارته ، يتنهد . يظل واقفا هكذا ، وقتا طويلا ، منكس الرأس ، تقلقه الافكار ، ايفانوف يرقبه ، صابرا .

روباشوف **أخيرا ، وفى اعياء :** سأفكر ن الأمر .

ايفانوف **بشعور المنتصر ، يلتقط زجاجته ، ينهض ، وينادى متجها الى ثقب المراقبة فى الباب :** أيها الحارس ! **يلتفت ثانية الى روباشوف ، مزهوا .** أنت جواد حرب عجوز . لقد مررت بأزمة أعصاب. **((الحارس)) يفتح الباب .** ولكنها الآن مرت وانتهت . هيا ، الى فراشك ، ونم قليلا . فغدا ستكون فى حاجة الى ذهن رائق ، لكى تعد بيانك .

روباشوف **مقطبا :** قلت اننى سأفكر فى الأمر .

ايفانوف **يومىء برأسه ، ويضحك :** تصبح بخير ، يا كوليا .

روباشوف : تصبح بخير ، يا ساشا .

ايفانوف ينصرف . روباشوف يقف ، يفكر طويلا . فى الدهليز ، ايفانوف يشاهد جليتكين مستندا الى الجدار ، يرقب زنزانة روباشوف .

ايفانوف **يتقدم الى جليتكين ، بسخرية عليا :** اية عبقرية هبطت عليك الليلة ؟ **سكون . ينفخ حلقة من الدخان .** كل شىء على ما يرام . انه سيعترف . ولكننى تصببت دما لكى أصلح ما افسدته انت . انك ما زلت متأثرا جدا بعواطفك الشخصية . ولو كنت أنت فى مكانه لأبديت عنادا أشد .

جليتكين : ان لدى من قوة الجلد ما لا يملك .

ايفانوف : ولكنك غبى ! ولهذه الاجابة وحدها يجب أن تعدم قبله رميا بالرصاص ! **ينفخ سحابة من الدخان يغمر بها وجه جليتكين . يبدى أسنانه الذهبية فى ابتسامة احتقار شديد . ثم يهرول على طول الدهليز .**

جليتكين يقف مكانه ، كما لو كان مصنوعا من حجر ، بوجه خلا من كل تعبير . ثم يرفع يده ، ليدفع بها الدخان عن وجهه ، بحركة مفاجئة سريعة .

يظلم المكان .

ستار

الفصل الثالث

المنظر : زنزانة روباشوف بعد أيام عديدة .

عند رفع الستار : روباشوف جالس على سرير السجن ، خالعا حذاءه ، رداؤه ملقى على كتفيه . على ركبته ((بلوك)) من ورق غير مكتوب . يكتب مستغرقا . يتوقف ، يمضغ قلمه الرصاص ، يدرس الصفحة ، يسرع في الكتابة . الى جواره كومة من الصفحات المكتوبة . يبدو التوتر والحمى وكأنهما قد خفا . بينما هو يكتب ، تسمع دقات ثلاث من حائط ٤٠٢ . يتجاهلها . ثلاث دقات أخرى . ثم ثلاث بعدها . يرفع عينيه ، مغتاظا ، ولكنه يعود الى العمل . حائط ٤٠٢ يفيض الآن بالدقات ، سريعة وملحة ، حادة وواضحة . باشارة غيظ ، يمزق روباشوف الصفحة التي أتمها لتوه ، يضعها بعناية على الكوم الذي بجواره ، ينهض ، ينتقل الى الحائط ، ويدق . ترتفع الأضواء الى ٤٠٢ .

٤٠٢ **يدق** : حاولت أن أحدثك طول اليوم . لماذا لم ترد ؟

روباشوف **يدق** : كنت مشغولا .

٤٠٢ **يدق** : فيم ؟

روباشوف **يدق** : كنت أكتب .

٤٠٢ **يدق** : ماذا ؟

روباشوف **يدق** : نظرية جديدة .

٤٠٢ **يدق** موضوعها ؟

روباشوف **وهو يبتسم سخرية ، يدق** : «عدم نضج الجماهير» .
« الضرورة التاريخية للدكتاتورية » .

٤٠٢ **يدق** أعد !

روباشوف **يدق** لا تهتم .

٤٠٢ **يدق** ماذا حدث ؟

روباشوف **يدق** انى أعترف .

٤٠٢ **يتوقف ، وقد أذهله ذلك التحول المفاجىء ، ثم يغضب ، ويدق** : أفضل أن أشنق .

روباشوف **يدق** : لكل شيخ طريقته .

٤٠٢ **يدق ، ببطء** : حسبتك فذا ، متفردا . اليس لك شرف ؟

روباشوف **يدق** : أفكارنا عن الشرف مختلفة .

٤٠٢ **يدق** : الشرف هو أن تحيا وتموت من أجل عقائدك .

روباشوف **يدق** : وأنا أحيا من أجلها .

٤٠٢ **يدق بصوت أعلى وأحد** : الشرف هو الذوق .

روباشوف **يدق ، ببطء وهدوء** : وما هو الذوق ؟

٤٠٢ **مهتاجا جدا ، يدق** : شيء لن يفهمه أمثالك .

روباشوف **يدق** : استبدلنا الذوق بالتعقل .

٤٠٢ **يدق** : وما هو التعقل ؟

روباشوف **يدق** : مجرد التعقل

٤٠٢ **يدق** : وانت مجرد ابن كلبة .

روباشوف **مبسوطا ، يقهقه ، ويدق** : ان التملق لا يلين قناتى .

٤٠٢ **يدق** : لن أكلمك بعد الآن .

المشهد يقاطعه صليل مفاتيح ، ثم يفتح باب زنزانة روباشوف بقوة ، ويدخل ((ضابط شاب)) .

الضابط : البس حذاءك !

روباشوف : حسن ! حان الوقت تقريبا ! **ينتقل الى سريره ، يجلس عليه ، وياخذ فى لبس حذائه ، متمهلا :** ظللت أقوم على خدمة القوميسار ايفانوف أياما عديدة .

الضابط : البس حذاءك وهيا معى .

روباشوف : كان ينبغى أن تختار وقتا أليق قليلا . ولكن ، أحسبكم لا تظهرون الا بعد منتصف الليل .

الضابط : لا تثرثر . حسبك أن تلبس حذاءك وتعال بسرعة .

روباشوف **ينظر الى الضابط ، يبتسم ، يهز رأسه وهو يحكم الرباط** : أوغاد ! **ينهض ((الضابط)) ، يشير اليه أن يخرج بهزة خاطفة من رأسه . روباشوف يسير ، وهو يحدثه من فوق كتفه :** ولكن لا فائدة لنا منكم ان لم تكونوا أوغادا ! أليس كذلك ؟ **يخرج . الضابط يقطب جبينه ، يتبعه خارجا . الضوء فى الزنزانة يخفت ، حتى تظلم .**

٤٠٢ **ينظر من ثقب المراقبة :** ابن كلبة ! **ينتقل الى حائط ((٣٠٢)) .**

ترتفع الأضواء الى الصف الأعلى . ((٣٠٢)) يذرع زنزانته . يتوقف اذ يسمع دقا ، ينتقل الى الحائط ، يستمع .

٤٠٢ **يدق** : ان روباشوف جبان قذر .

٣٠٢ **يدق** : اخطأت . بل انه شجاع . أبى قال لى .

٤٠٢ **يدق** : أبوك على خطأ .

٣٠٢ **يدق** : ماذا فعل ؟

٢٠٤ يدق : انه سينقذ جلده . سيعترف . أخذوه الى فوق ، الآن .

٢٠٣ يدق : أوه . يا الهى ! صل من أجلى .

٢٠٤ يدق : من أجلك ؟

٢٠٣ يدق : نعم ، من أجلى . **ينتقل ، يدق على حائط ٢٠٢ الذى يستجيب ، ويستمع . ((٢٠٣)) يدق :** روباشوف يعترف . أبلغها !

٢٠٣ **يزوم . ينتقل الى الحائط المقابل ، يدق :** روباشوف يعترف . أبلغها !

الدق يتضاعف ، وعبارة ((روباشوف يعترف)) ؛ ((روباشوف يعترف)) يتردد صداها فى أنحاء السجن ذهابا ورجعة . الزنزانات تظلم ببطء ، ثم ترتفع الأضواء الى مكتب ايفانوف . نرى من يجلس الى المكتب مرتديا بزة عسكرية ، وقد أدير الكرسى جانبا، وظهره متجه الينا . يبدو أنه ايفانوف . الرجل الجالس الى المكتب يدير كرسيه فجأة، ليواجه روباشوف. انه ليس ايفانوف ، بل جليتكين ! ينظر الى روباشوف بوجه من حجر . البسمة التى تعلو وجه روباشوف تختفى . يتوقف فى مشيته ، ينظر حوله بسرعة . قرب جليتكين ((شابة)) مزمومة الشفتين ، تجلس وهى تبرى أقلامها الرصاص .

جليتكين ينهض ، يشير بيده مبسوطة ليخرج ((الحارس)) : أغلق الباب ! **يذهب ((الحارس)) ، وهو يغلق الباب . ينحنى جليتكين على مصباح أرضى ثقيل قريب منه ، ويضغط زره . يسمع صوت همهمة للتيار ، وتتلقى عينا روباشوف صدمة الضوء المفترس**

الأبيض . يفاجأ فيسرع بتحويل وجهه بعيداً كأن ضربة أصابته ، ثم يتحول ثانية ليواجه جليتكين، وهو يكاد يغمض عينيه ، ويتخذ من يده درعا يتقى به النور .

جليتكين **يجلس ، يلتقط بعض الوثائق الرسمية** : سنمضى فى استجوابك . هل تريد أن تعترف اعترافا كاملا ؟

روباشوف **يخلع نظارته ، يمسح عينيه** : نعم ، للقوميسار ايفانوف، وليس لك .

جليتكين : ستقدم اعترافك الى أنا ، هنا ، والآن . والا فانى أقفل هذا التحقيق ، ويصدر الحكم عليك فورا . تلك هى الأوامر ، تلقيتها من أعلى . **روباشوف يلبس نظارته ، ويحاول أن يقابل عينى جليتكين ، ولكن النور القوى يعمى عينيه . يعود الى خلع نظارته .** لك أن تختار ، فأيهما ؟

روباشوف **متجنبا الضوء** : أنا مستعد لالقاء بيان .

جليتكين : اجلس هناك .

روباشوف : على شرط واحد . **يلتفت نحو جليتكين بثبات ، ومع ذلك يضطر الى أن يغمض عينيه** . اطفىء ذلك الضوء المعمى ! ادخر هذه الادوات لرجال العصابات .

جليتكين **بهدوء** : لست فى مركز يسمح لك باملاء شروط . فالواقع أنك متهم كأخطر نوع من رجال العصابات .

روباشوف **يسيطر على غضبه** : ما هى بالضبط تلك الاتهامات ؟ اقرأها على من فضلك ، فانى ما زلت فى انتظارها .

جليتكين : حسن جدا . اجلس هنا ! **روباشوف يجلس على الكرسى الذى صوب اليه الضوء المعمى . جليتكين يقرأ البيان الرسمى بنغمة واحدة رتيبة سريعة .**

عدو الشعب نيكولاى سيمونوفتش روباشوف ، أنت متهم بالعمل ضد الثورة ، مأجورا من حكومة أجنبية معادية ؛ وبأنك ، بتحريض من وكلائها ، ارتكبت من أعمال الخيانة العظمى والتخريب ما من شأنه احداث عجز حيوى يضر القوة الحربية لاتحاد الجمهوريات الاشتراكيةالسوفييتية . كما أنك متهمأيضا بتحريض شريك لك على محاولة اغتيال « زعيم الحزب » . أى أنك متهم بالجرائم التى تنص عليها المواد ٥٨ ـ ١ أ ؛ ٥٨ ـ ٢ ؛ ٥٨ ـ ٧ ؛ ٥٨ ـ ٩ ؛ ٥٨ـ١١ من«القانون الجنائى » . **يسقط الأوراق الرسمية ، ويرفع عينيه.** سمعت التهم ؟ اتعترف بأنك مذنب ؟

روباشوف **يلتفت ليواجهه ، وهو يذود عن عينيه بيده :** أعترف بأننى مذنب بالعجز عن مسايرة الضرورة التاريخية . وأعترف بأننى مذنب باقتراف العاطفية البورجوازية . وأعترف بأننى مذنب لأننى حاولت تخفيف الارهاب حالا ، واردت أن تمنح الحرية للجماهير . **السكرتيرة التى تكتب هذا بالاختزال تبتسم ، تهكما . روباشوف ينظر اليها** . لا تسيئى أدبك ، أيتها الشابة . **جليتكين** . انى أتبين الآن ، تماما ، أن نظام الحكم على صواب ، وأننى على خطأ . وان الظروف تقتضى تشديد الحكم الفردى . وان اية انحرافات عاطفية فى هذه اللحظة من التاريخ قد تصبح انتحارا . بهذا المعنى قد تستطيع أن تسمينى مناوئا للثورة ، ولكن بهذا المعنى وحده . ولا صلة بينى وبين التهم الجنونية الموجهة الى ، تلك التهمالتى أنكرها انكارا باتا .

جليتكين : هل فرغت ؟

روباشوف : وانكر ، انا روباشوف ، أن اكون قد تآمرت ابدا ضد بلادى . وانكر ان اكون مأجورا لحكومة اجنبية. وانكر اى عمل من اعمال التخريب . وانكر انني اشتركت ابدا فى اية محاولة ارهابية ضد « زعيم الحزب » . للسكرتيرة ، بهدوء . هل كتبت كل هذا ، أيتها الشابة ؟

جليتكين : هل انتهيت ؟

روباشوف : انتهيت .

جليتكين : امسح شفتيك اذن . انهما تقطران كذبا . كذبا ! كذبا ! قيئا ! **يخطف ملفا ثخينا من على المكتب ويفرقع به فى وجه روباشوف** . ان الاقوال التى ادليت الآن بها ليست الا كذبا منتنا . كفاك نبلا ! كفاك ادعاء ! كفاك خيلاء ! اننا لا نطلب منك كلاما منمقا ، بل اعترافا كاملا بجرائمك الحقيقية !

روباشوف **يده أمام وجهه ، يتنفس بشدة ، يعض على شعوره بالاهانة ، يقاتل ليكبح جماح نفسه** : لا أستطيع الاعتراف بجرائم لم أرتكبها .

جليتكين **يضغط زرا بالمكتب** : اوه ، لا . أنت لاتستطيع هذا . **« الحارس » يدخل ، آتيا ب « ٣٠٢ » الذى تثبت عيناه فى الحال على « جليتكين » والذى يتحرك ويتكلم كانه يمشى وهو نائم . فى اسلوبه شىء من الطفل الذى لا حول له ، به رغبة يائسة ليكون « طيبا » ولينال الرضا . « جليتكين » يصرف « الحارس » بايماءة من راسه ، ثم يشير الى نقطة فى أرض الغرفة** . تقدم الى

هنا . **فى الحال يومىء ((٣٠٢)) برأسه ويعدل مكانه ليقف الوقفة الصحيحة المطاوبة .**
((جليتكين)) ينتقل فيما وراء المكتب - لروباشوف .
اتعرف هذا الشخص ؟ **سكتة ، ثم بخشونة :**
تفضل بالانتباه ! هل تعرف هذا الشخص ؟

روباشوف : الضوء فى عينى .

جليتكين **بصوت منخفض** : قف ! **((روباشوف)) يتردد .**
((جليتكين)) يهدر : قف !
((روباشوف)) ينهض . تقدم الى هناك ! **يشير الى ((٣٠٢)) ((روباشوف)) يقترب أكثر** . اتعرفه الآن ؟

روباشوف **يدفع عن عينيه الضوء المعمى ، يتفحص ((٣٠٢)) ، ثم يهز رأسه** : لا .

جليتكين : لم تقابله ابدا من قبل ؟

روباشوف **يتردد** : أوم ... لا .

جليتكين : انك ترددت . لماذا ؟

روباشوف **يدرس وجه ((٣٠٢))** : لا أتذكر أين قابلته .

جليتكين : ذاكرتك كانت مضرب المثل فى « الحزب » وقتا ما .
سكتة طويلة . ترفض الاجابة ؟

روباشوف : انا لا أرفض الاجابة . فقط لا أذكر اين قابلته .

جليتكين : حسن اجلس . **((روباشوف)) يجلس .**
((جليتكين)) يلتفت الى ((٣٠٢)) : أعِنْ ذاكرةَ المواطن روباشوف . أين قابلته آخر مرة ؟

٣٠٢ : المواطن روباشوف حرضنى على قتل « زعيم الحزب » بالسم ..

جليتكين **متضايقا** : لم اسألك عن هذا . سألتك اين قابلته اخيرا ؟

روباشوف **يبتسم متجهما ، ويتمتم** : أعطى اجابة خاطئة .
جليتكين **يلتفت اليه ، كأنه يعضه** : ماذا ؟
روباشوف : الأرغن الأوتوماتيكي عزف لحنا غير المطلوب .
جليتكين **منذرا** : انا أحذرك . تذكر أين أنت . لسنا بحاجة الى ما يسمى سرعة خاطرك . **يومىء الى ((٣٠٢))** .
٣٠٢ : قابلت المواطن « روباشوف » في بروكسل .
جليتكين : أتذكر التاريخ ؟
٣٠٢ : بوضوح . كان يوم العيد السابع عشر للثوره . في شقته !
روباشوف **يفحص ((٣٠٢)) . فجأة يضع يده على جبهته** : نعم ، بالطبع . التاريخ صحيح . الآن تذكرت « جوزيف كييفى » . **جليتكين** . أهنئك !
جليتكين تقر بأنك عرفته وقتئذ ؟ قابلته في اليوم والمناسبة المذكورين ؟
روباشوف **وقد التصقت عيناه بهيئة ((٣٠٢)) الفظيعة ، اذ يبدو كشبح مضغوط** : هذا هو ما قلته لك الآن . لو أنك أخبرتنى في الحال انه ابن صديقى التعس الأستاذ كييفى ، لكنت عرفته سريعا .
جليتكين **يتحول الى ((٣٠٢))** : كيف حدثت هذه المقابلة ؟
٣٠٢ : بعد حفلة الاستقبال في المفوضية أخذنى إبى الى شقة المواطن « روباشوف » .
جليتكين **يومىء برأسه** : أكمل .
٣٠٢ : هو وأبى لم يكونا قد رأى أحدهما الآخر منذ سنوات ، وقد تحدثا عن الأيام الأولى « للثورة » .
جليتكين : كانا يشربان ؟
٣٠٢ : نعم . كانا يشربان ويتحدثان . **نظرة بعيدة وبسمة**

رفيقة تضيئان وجهه اذ يسترجع الذكرى : فى
السنوات القليلة الأخيرة لم أكن رأيت أبى أبدا فى مثل
ذلك المزاج الصافى .

جليتكين **بهدوء** : كان ذلك فى الشهور الثلاثة السابقة لاكتشاف
جرائم والدك المناهضة للثوره واعدامه !

((٣٠٢)) يقذفه بنظرة ، يلعق شفتيه ، ويقف هنـاك ، كأنه أخرس . ((روباشوف)) يلتفت الى ((جليتكين)) بدافع داخلى مفاجىء ، ولكن الضوء يعميه ، فيغمض عينيه ويلتفت بعيـدا ، ببطء ، يخلع نظارته ، يمسحها بكمه . قلم السكرتيرة الرصاص يخدش الورق ، ويقف . بعد سكتة طويلة ، يتمالك ((٣٠٢)) نفسه .

٣٠٢ : نعم .

جليتكين : استمر . أذكر محادثتهما . تكفينا النقط الأساسية .

٣٠٢ : لقد قال ...

جليتكين : روباشوف ؟

٣٠٢ : نعم . « روباشـوف » قال ، منـذ أن جلس « الزعيم » على « الحزب » بعجزه العريض ، لم يعد الهواء تحتـه صالحا للتنفس . وقال انهم يجب أن يصمدوا بقوة وأن ينتظروا الساعة .

جليتكين : ماذا كان يعنى بعبارة « ينتظروا الساعة » ؟

٣٠٢ : الساعة التى يقصي فيها « الزعيم » . **((روباشوف)) يبتسم .**

روباشوف : صديقان قديمان يسكران قليـلا ، يتكلمان بغير عناية ، وأنت تصنع من ذلك مؤامرة .

جليتكين : اذن « روباشوف » تحدث عن الساعة التى يقصى فيها « زعيم الحزب » ؟ كيف يقصى ؟

٣٠٢ : أبى قال ان « الحزب » فى يوم ما سيجبره على الاستقالة .

جليتكين : و « روباشوف » ؟

٣٠٢ : ضحك ، وقال ان الزعيم جعل أعضاء الهيئة التنفيذية للحزب الاعيب فى يده . وقال أن الزعيم لا يمكن اقصاؤه الا باستعمال القوه .

روباشوف : بهذا التعبير كنت أقصد الاجراءات السياسية .

جليتكين : باعتبارها تعارض شيئا آخر ؟

روباشوف : باعتبارها تعارض الارهاب الفردى .

جليتكين : وبعبارة أخرى ، كنت تفضل « الحرب الأهلية » ؟

روباشوف : لا ، كنت أفضل عملا جماهيريا .

جليتكين : وهذا ما يؤدى الى حرب اهلية . اهذا هو الفرق الذى تجعل له تلك القيمة العظيمة ؟

روباشوف **ينفد صبره ، صائحا** : لا استطيع أن أفكر تفكيرا سليما وهذا الضوء اللعين فى عينى .

جليتكين **يفوقه صياحا** : لا أستطيع أن أغير اضاءة الغرفة لكى ارضيك . **الى ((٣٠٢)) بهدوء** : أذن فقد قال « روباشوف » ان عليهم أن يستعملوا العنف . **((٣٠٢)) يومىء برأسه** . وهذا الحديث الهائج ، اضافة الى الخمر التى سقاك اياها ، قد ألهبك ؟

٣٠٢ **بعد سكتة** : لم أشرب ، ولكنه هو ــ نعم هو ، أثر فى تأثيرا عميقا .

جليتكين : وفيما بعد فى ذلك المساء عرض عليك خطته لكى تغتال الزعيم ؟ **((٣٠٢)) صامت . تترجرج عيناه**

شاخصتين الى الضوء . «روباشوف» يرفع رأسه . سكتة ، خلالها لا تسمع الا همهمة المصباح . هل تريد انعاش ذاكرتك ؟

٣٠٢ **يرتعد ، كما لو صك بالسوط :** لم يحـدث هذا ، فى ذلك المساء ، ولكن فى الصباح التالى .

روباشوف : اعتقد ان للمتهم الحق فى توجيه أسئلة .

جليتكين **مفترسا :** ليست لك حقوق هنـا ! **يميل الى الأمام ليخط بعض الملاحظات ، وبعـد سكتة موجزة دون أن يرفع عينيه :** هيا وجه اسئلتك .

روباشوف **ينهض ، يخطو نحـو « ٣٠٢ » ، رفيقـا جـدا :** جوزيف ، ان كنت أذكر جيـدا ، فقد تلقى والدك « وسام لينين » فى اليوم التالى للعيد السابع عشر « للثورة » .

٣٠٢ **هامسا :** نعم .

روباشوف **برفق :** اذن فهذا صحيح . واذا كنت اذكر جيـدا مرة اخرى ، يا جوزيف ، فانك كنت معه عنـد ما تسلم الوسـام . « ٣٠٢ » **يومىء برأسه .** وعلى ما اذكر ، فان « الوسـام » قد قدم فى موسكو . صحيح ، يا جوزيف ؟ **«٣٠٢» يومىء . «روباشوف» يتوقف ، يلتفت الى جليتكين :** الأستاذ كييفر ركب طائرة منتصف الليل وسافر معه ابنه الشاب . فهذا التحريض المزعوم على القتل لم يحدث لأنه فى اللحظة المزعومة كان كييفر الشاب على بعد مئات من الأميال ، فوق السحاب .

قلم الرصاص فى يد « السـكرتيرة » يتوقف . تلتفت الى « جليتـكين » . « ٣٠٢ » ، وقد تلوى

وجهه من الحيرة والخوف، ينظر أيضا الى ((جليتكين)).

جليتكين **هادئا** : لديك أسئلة أخرى ؟

روباشوف : هذا كل ما هنالك ، الآن . **يجلس** .

جليتكين : الآن ، يا جوزيف ـ **ينهض ، يصطنع رقة ((روباشوف)) ، بل يسرف فيها ، ينتقل الى ((٣٠٢))** ـ هل سافرت مع والدك ؟ أم أنك ، فى الحقيقة ، لحقت به فيما بعد ، بعد لقائك مع ((روباشوف)) ؟

٣٠٢ **يكاد ينتحب ، من الارتياح** : بعد ! لحقت بأبى فيما بعد .

جليتكين : فى الوقت المناسب ، لتلحق اهداء الوسام ؟

٣٠٢ : نعم . نعم .

جليتكين **يومىء برأسه ، يلتفت الى ((روباشوف))** : عندك أسئلة أخرى ؟

روباشوف : لا .

جليتكين **يلتفت الى ((٣٠٢))** : تستطيع الانصراف .

٣٠٢ : أشكرك ...

جليتكين **ينادى** : حارس !

((حارس)) فى بزة عسكرية يدخل ويقود ((٣٠٢)) خارجا . عند الباب ((٣٠٢)) يدير رأسه مرة أخرى نحو ((روباشوف)) . ((روباشوف)) يقابل نظرة ((٣٠٢)) المستجدية لمدة ثانية ، ثم يلتفت بعيداً . يخرج ((٣٠٢)) .

روباشوف **غاضبا** : التعس المسكين ! ماذا صنعتم به ؟

جليتكين **الذى كان قد ابتعد الى نهاية الغرفة ، يلتفت ، زاعقا** : ما يمكن أن نصنع بك . **وبسرعة لا تعقل من**

رجل ضخم مثله ، يقذف بنفسه عبر الغرفة ، يقبض على زور « روباشوف » ويرفعه منه فيوقفه على قدميه . لدينا طرق كثيرة تجعل الرجل يقول الحق .

روباشوف **بسرعة** : حسن جداً ، ماذا تريدنى أن أوقع ؟ « **جليتكين » يرخى قبضته** . اذا عذبتمونى وقعت على أى شىء تضعونه أمامى . سأقول أى شىء تريدوننى أن أقوله ، فى الحال . ولكنى غداً سوف أنكر . فى المحاكمة العامة سأقف فى قلب المحكمة واصيح ليسمعنى العالم كله « انهم يغرقون «الثورة» فى بحر من الدماء . ان الاستبداد قد قام وانتصب ، وانه يمشى على جثث الأموات » . لقد شحب وجهك كثيرا . وسيقضى هذا على مستقبلك ، أليس كذلك ؟ انت تقبض على زورى ، أيها الشاب ، ولكنى أنا قابض على زورك ، أيضا . فاذكر هذا !

جليتكين **يخلص « روباشوف » ببطء** : لماذا تحول المسألة الى موضوع شخصى هكذا ؟

روباشوف : الموت ، حتى فى قضية غير شخصية ، هو مسألة شخصية . الموت ، وكذلك بلوغ الترقيات. **يجلس.**

جليتكين : أنا هنا لخدمة « الحزب » فحسب . اننى لست شيئا . **يجلس الى المكتب وهو يلم أوراقه** . العنصر الشخصى فى هذه القضية قد ازيل مع صديقك « ايفانوف » .

روباشوف **وقد غامت على وجهه سحابة من الرهبة** : ازيل ؟

جليتكين : لن تكون ثمة اعترافات جزئية ، ولا مساومات . اننا لا نعدك بشىء .

روباشوف : ماذا حدث « لايفانوف » ؟

جليتكين : عدو الشعب « ايفانوف » أعدم فى ساعة مبكرة هذا الصباح .

روباشوف **بعد سكتة طويلة ، يومىء لنفسه ، يغمغم** : فهمت. **يرفع بصره الى « جليتكين »** لماذا ؟ أهو بسببى ؟

جليتكين : ربما .

روباشوف : ربما كان يعتقد أننى برىء .

جليتكين : اذن ما كان ينبغى له أن يدير التحقيق معك .

روباشوف **يتنهد فى عمق ، يغمغم : اذهب يا ساشا** . اذهب بسلام !

جليتكين كان فاسدا ، مثل الكثيرين من حرسكم القديم ، ثم ذلك العمل المناوىء للثورة الذى ارتكبه أثناء تحقيقه معك ...

روباشوف **يقفز واقفا على قدميه ، وقد انفجر كل شعوره المكتوم** : مناوىء للثورة ؟ أيها الحمار الصغير الجاهل ! ماذا بحق الجحيم تعرف عن « الثورة » أو الحرس القديم ؟

عند ما كنت فى لفائفك كنا نعمل ونقاتل وندرس ونكتب فى شىء واحد : « النورة » ! « الثورة » ! لقد عشنا نصف عمرنا كحيوانات الجحور — تحت الأرض ؛ كنا نتعفن حتى الموت فى جميع سجون أوروبا ؛ عرفنا الفقر ، عرفنا الاضطهاد ، عرفنا الموت جوعا ، ولكننا فى كل ثانية عشناها كنا نحلم ونبنى « الثورة » بدمائنا وعظامنا ! والآن يأكلك الحقد وتجلس هناك ... **يلوح بيده نحو البقع الباهتة على الحائط** ... وتبصق على هؤلاء ، أبطال

صـبـاك ؟ هل فقدت عقلك ؟ هل تعتقد حقـا أننا جميعا أصبحنا مرتشين وفاسدين ؟

جليتكين **يميل الى الأمام ، ينهض ببطء ، وجهه كالمشـلول :** اسكت ! أيها الرجل العجوز المسخ المتعفن الذى يثير الاشمئزاز ! انكم أيهـا المغامرون مررتم راكبين ، كالرغوة ، فوق فيضان الثورة الشعبية . ولـكن لا تخطئوا الفهم ! انكم لم تستغفلوا الزعيم ابدا . لقد استعملكم ، لأنه كان عليه أن يستخدم أى شىء يجده ، ولكنه كان يعلم انكم قاصرون . لهذا اضطر « زعيمنا » أن يحتمل تلك المشاق معكم . لقد تعلمنا كيف ندرك نقائصكم بمجرد أن نشم رائحتكم . لقد كانت ثمة حاجة اليـكم برهة من الزمن كالمتعـلمين ذوى الياقات النظيفة بعد « الثورة » . ولكن الدفة الآن يمسكها جيـل جديد . أما يومكم فقد مضى ! افهم ! لا مساومات لك ، نحن لا نعرض عليك شيئا ! انك ستموت ! والسؤال الوحيد هو هل ستموت بلا فائدة أم ستعترف وتؤدى بذلك خدمة أخيرة الى « الحزب » ؟ ولكنك ستموت ، ستموت ! أتفهم ؟

روباشوف **يحملق فيه . شىء يموت ، شىء من العزيمة ، من الكفاح ، من الروح ، يخرج من « روباشوف » لغير عودة . ينقلب فجاة الى رجـل عجوز ، مريض ، متعب جدا . يومىء برأسه ، يهمس بصوت اجش :** فهمت .

جليتكين **بخشونة ، ظافرا :** اذن دعنا من الوقاحة . **يضغط زرا ، ينقـشع سطوع الضوء :** المشـاهد التـالى !

ترتجف الأضـواء ، وبينما يجلس « روباشـوف » ببطء يختفي المنظر .

ترتفع الأضواء الى عقد الزنزانات . نرى «٤٠٢» و «٣٠٢» شـبيه الأشباح وهما يأكلان عشاءهما النحيل من الخبز الأسود وحساء الترنب .

٣٠٢ **يدق الى « ٤٠٢ »** : ألم يعد « روباشوف » بعد ؟

٤٠٢ **يدق** : لا .

٣٠٢ **يدق** : كم مضى عليه ؟

٤٠٢ **يدق** : لقد أخذوه الى فوق ــ لا بد أن ذلك كان منذ عشر ساعات .

٣٠٢ **يدق** : أتساءل هل هم يعذبونه الآن ؟

٤٠٢ **يدق** : ولماذا ؟ انه اعترف .

٣٠٢ **يدق** : يريدون منه أكثر .

٤٠٢ **يدق** : ما هو ذلك الأكثر ؟

٣٠٢ **يدق** : هنالك أكثر . آمل أن يكون قد فهم . وأظن أنه فعـل . كان أبي يحدثني عنه حديثـا طيبا . **تأخذه العاطفة ، فجأة . لنفسه** . آه يا أبي ، يا أبي !

٤٠٢ **يدق** : تناول عشاءك .

الأضواء تخفت والسجناء يختفون . تعود الأنوار فترتفع وتـكشف المـكتب . « محقق » جـديد ، و « سـكرتير » آخـر قد حلا محـل « جليتكين » و « الشابة » . وبينما يتبين المنظر ، نرى المحقق ، أحمر العينين ، غارقا في العـرق ، محتقن الوجه ، واقفـا أعلى من « روباشوف » ، يدقه بالأسـئلة . على وشـك الاغمـاء من الارهاق ، ابيض الوجه كالأشـباح التي ترتاده ، يبذل « روباشوف » كل

ما يملك من قوة الارادة ليقاوم العدوان المتعصب .
« السكرتير » ايضا اذابه التعب ، شعره أشعث ،
وربطة رقبته تراخت وتزحزحت .

المحقق ينفخ : اهذا صحيح ؟ اجب . نعم أم لا ؟

روباشوف : لا أستطيع ...

المحقق : نعم أم لا ؟

روباشوف : جزئيا ...

المحقق بخشونة : نعم ، أم لا ؟ نعم ، أم لا ؟

روباشوف مجهدا : نعم ... نعم .

المحقق يزوم : نعم . حسن . يعود الى الكرسى عند المكتب .
يجلس . نعود الآن الى حكاية « كييفر » ؟ سكتة .
ينظر الى فوق ، عينا «روباشوف» أغمضتا ، وسقط
رأسه ليرتاح على صدره . المحقق يزعق . انتبه !

روباشوف يفتح عينيه ، يرفع رأسه : ماذا ؟

المحقق : ألست بخير ؟

روباشوف : بخير .

المحقق في تهديد هادىء : اتريدنى أن أطلب الطبيب ؟

روباشوف بسرعة . وقد عاد متحفزا : لا .

المحقق : قف ! « روباشوف » ينتصب واقفا . شد
قامتك ! ارفع رأسك ! يديك فى الجانبين ! انتباه !
« روباشوف » يطيع . قد تظل بذلك مستيقظا .
اتعترف بهذه المحادثة ؟ سكتة . نعم ، أم لا ؟

روباشوف : كانت ثمة محادثات .

المحقق : لم أسألك عن محادثات . سألتك عن هذه وحدها .

روباشوف : تقول فلسفة « هيجل » : كل نعم بها لا ، وكل
لا بها نعم .

المحقق : لست هنـا كفيلسوف ، انت هنا كمجرم . خير لك الا تتحدث عن فلسفة « هيجل » . هل تقر بهذه المحادثة نعم أم لا ؟

روباشوف : نعم .

الباب يفتح ، ((جليتكين)) و ((سكرتيرته)) يدخلان بنشاط وسرعة ، نشطين مرتاحين . ((هى)) غيرت ثوبها ، و ((جليتكين)) يحمل ملء ذراعيه كتبا بها قصاصات ورق صغيرة تقف عند بعض الصفحات لتحدد مواضع معينة فيها .

المحقق : نعم .. هذا حسن .

روباشوف : ولكننى انكر استنتاجاتك .

جليتكين **مقاطعا** : أى انك تقر كل شيء سوى النتيجة المنطقية لتصريحاتك ؟ **يومىء الى ((السكرتير)) الجالس ، الذى يقفل كراسته وينهض . ((سكرتيرة)) جليتكين تحتل الكرسى وتبدأ فى تسجيل الملاحظات .**

المحقق : دعك من هذا الكذب الفج .

روباشوف : انا لا اكذب ، أيها الشاب !

جليتكين **ينتقل الى المكتب** : مضى عليك عشر ساعات هنا تسمم الجو بمناوراتك اليسوعية . ماذا تتوقع أن تكسب بذلك ؟

روباشوف : اكسب ؟ لا شيء .

جليتكين **يلمس المحقق ، الذى يومىء ، وينهض** : اذن اعترف بجرائمك ولننته من هذا الموضوع .

روباشوف : اعترف بجرائم لم ارتكبها ؟ حتى « دانتون » فى « الثورة الفرنسية » سمحوا له بالدفاع عن نفسه .

المحقق **وقد قام الآن من الكرسي** : وماذا حدث للثورة الفرنسية ؟

جليتكين **ينزلق جالسا فى الكرسى ، ويميل عبر المكتب ، دون أن يقاطع التحقيق . كأنه آلة قد أحسن تزييتها :** كلام مزوق حول الشرف الشخصى ! كل ما كان يهم « دانتون وشركاءه » هو أن يموتوا محوطين بالأبهة والجلال . اهذا ما تريد ؟ **« المحقق » و « السكرتير » يخرجان ، يتمطيان ، ويتثاءبان ، مرهقين .**

روباشوف : أنا بالتأكيد لا اريد أن أظل أعوى مثل ذئب فى الليل .

جليتكين : سواء أكان ذلك يفيد « القضية » أم يضرها ، هذا لا يهم ؟

روباشوف : ان حياتى كلها لها هدف واحد ! خدمة «القضية» .

جليتكين : ليس ثمة الا طريق واحد لتخدمها الآن . اعتراف كامل فى قلب المحكمة ، اعتراف باختيارك عن كل هذه الجرائم .

روباشوف **يتهدل ، يميل على المكتب ليستند اليه** : لقد اعترفت بذنبى فى اتباع سياسة مزيفة ضارة . اليس هذا كافيا ؟

جليتكين : بلادنا الآن هى معقل العصر الجديد . كل شىء يتوقف على احتفاظنا بالمعقل سليما ، فتبقى البلاد متحدة اتحادا قويا .

روباشوف : كيف تتحد البلاد ؟ كيف يستفيد « الحزب » اذا كان على أعضائه أن يتمرغوا فى التراب ؟ أن اسم « نيقولاى سيمونوفتش روباشوف » هو جزء من تاريخ « الحزب » . وأنتم تجروننى فى الوحل انما تلطخون « الثورة » . أنا ....

جليتكين : انا ، انى ، انى ، انا ! **يلتقط احد الكتب ، ويفتحه عند علامة على صفحة بالذات** . هل تعرف هـذا الـكتاب ؟

روباشوف **يلبس نظارته . يداه ترتعشـان . يمر بعض الوقت وهو ينظر الى الـكتاب ، حتى يسـتوى المنظور فى بؤرتى عينيه** : نعم .

جليتكين : من الكاتب ؟

روباشوف : أنا .

جليتكين **يقرأ من الصفحة** : « النتيجة الموضوعية هى عندنا كل شىء ، أما الأمانة الموضوعية فهى ، عندنا ، لاتهم . ومن يثبت خطؤهم سيدفعون الثمن !
هل قلت هذا ؟

روباشوف **يتهدل جسمه ثانية** : نعم .

جليتكين : حسن . أنت مخطىء .
« رتشـارد » يبدو فى صورة كالأشباح ، مشـيرا باصبعه الى « روباشوف » .

روباشوف **يحملق فى الفضاء ، ويومىء** : نعم .

جليتكين : وستدفع الثمن .
شبح « رتشارد » يختفى .

روباشوف : هأنذا أدفع .

جليتكين . بحياتك .

روباشوف : حياتى كانت « الحزب » ــ حياتى لا قيمة لها ما لم أستطع أن أمضى فى خدمة « الحزب » . **تبرز ركبتاه ويتطوح ، يكاد يقع .**

جليتكين : اجلس ! **« روباشوف » يغرق فى كرسى .** ليس ثمة الا سبيل واحد لكى تخـدم « الحزب » الآن ، كممثل

للجماهير ، **يفتح كتابا آخر ، ويقرأ منه** . « فيما يخص الجماهير ، الصواب يجب أن يكون براقا ، أما الخطأ فأسود كالقار » . انت كتبت هذا ؟

روباشوف : نعم .

جليتكين : حتى اذا تركناك تعيش ـ كما تقول ـ فما الذى تريد العيش من أجله ؟

روباشوف **لنفسه** : لا شيء . رجل بلا وطن . **تظهر صورة لويجى وهو يبدو كالشبح ، يبتسم ، ويشير بيديه فى كل اتجاه** . مثل « لويجى » القصير .

جليتكين : من ؟

شبح « لويجى » يختفى

روباشوف **يهز رأسه** : لا تهتم .

جليتكين : اتعترف بجرمك ؟

روباشوف : فكريا .

جليتكين : فكريا ؟ **يرفع كتابا لكى يراه « روباشوف »** . وهذا؟

روباشوف : نعم . كتابى أيضا .

جليتكين **يقرأ** : ان نتائج تفكيرنا سيحس بها من بعدنا ، الى سابع جيل . ولذلك ، فان فكرة خاطئة من عندنا لهى أشد اجراما من عمل خاطيء يرتكبه الآخرون . هل كتبت هذا ؟

روباشوف : نعم . كتبته .

جليتكين : اذن ، فعند ما تقول انك لست مذنبا ، ألا يكون تفكيرك آليا ، أيها المواطن روباشوف ؟

تظهر صورة « البير » يلوح بيديه فى حركات مبالغ فيها الى درجة مضحكة . تظهر صورة « پابلو » وهو يلعب بالصحون كالمشعوذين .

روباشوف **يضحك ضحكة خافتة .**

جليتكين : ماذا يضحكك ؟

شبحا « پابلو » و « ألبير » يختفيان .

روباشوف **يرتجف ، ويرفع بصره** : هل كنت أضحك ؟

جليتكين : نعم .

روباشوف **يمر بيديه على جبهته** : لم أكن اشعر .

جليتكين : هل من عادتك ان تفعل أشياء لا تشعر بها ؟

روباشوف : لا . ليس غالبا .

جليتكين : هذه الأعمال التخريبية مثلا ؟

روباشوف : انا أنكرها .

جليتكين : لعلك ارتكبتها وانت لا تشعر .

روباشوف : لم ارتكبها مطلقا .

جليتكين : هذه المصانع كانت تخسر كثيرا .

روباشوف : نعم .

جليتكين : والتخريب أحد أسلحة الصراع الطبقى .

روباشوف : نعم . ولكننى لم أستخدمه .

جليتكين : ناديت باستخدامه مرارا وتكرارا ؟

روباشوف : نعم . ولكنى لم أستخدمه هنا .

جليتكين : الم تفعل ؟ **سكتة . ينظر فى الاوراق .** موضوع المرأة « لوبا لوشنكو » . لقد كانت سكرتيرة لك ؟ صحيح ؟

روباشوف : صحيح .

جليتكين : وكنت تنام معها . **روباشوف يشد قامته .** صحيح؟ **سكون .** هل أذكر لك المكان ، المواعيد ، المحادثات ؟ **يلوح بالملف ، انها كلها هنا .**

روباشوف **لا يكاد يسمع** : نعم ، كنت أنام معها .

جليتكين : ارفع صوتك !

روباشوف **بصوت عال** : نعم ، أعترف بهذه العلاقة .

جليتكين : تعترف بها ؟

روباشوف : قلت نعم .

جليتكين : لقد حوكمت واعدمت بتهمة التخريب . صحيح ؟

روباشوف **كالوحش** : كانت بريئة .

جليتكين : بريئة ؟ **ينهض** .

روباشوف : نعم .

جليتكين : لم تكن لها دوافع سياسية ؟ هل هذا ما تعنيه ؟

روباشوف : بالضبط .

جليتكين : بالضبط . كانت امرأةشابة عادية ، مفتونة ــ تحب حبا أعمى ، وبغباء ، كانت أمة وأداة لرجل واحد ، له دوافع سياسية خطيرة ــ هو انت !

روباشوف : أية دوافع ؟

جليتكين : كنت تكره الثورة ، فعلمتها أن تكرهنا .

روباشوف **يائسا** : ليس هذا بصحيح . كانت بريئة .

جليتكين : لماذا لم تقل ذلك ، وقتئذ ؟

روباشوف : أنت تعلم جيــدا ، كما أعلم ، أنه لم يكن ثمــة شيء استطيع أن أفعله لكى انقذها .

جليتكين : وعلى ذلك لم تفعل شيئا ؟

روباشوف : لم أفعل شيئا .

جليتكين : ظللت صامتا .

روباشوف : ظللت صامتا .

جليتكين : لتنقذ رقبتك

روباشوف : لأمضى فى العمل .

جليتكين : لا أحد يستطيع أن يعمل بغير رقبة ، أذن لتنقذ

رقبتك . وسكوتك هذا كان فى النهاية سبب اعدامها. صحيح ؟

روباشوف : هكذا قالوا لى .

جليتكين : ولكى أزيدك علما ، كنت أنا واحدا ممن حققوا معها.

روباشوف **يرفع رأسه** : انت ؟

جليتكين **يفتش فى الاوراق بابهامه** : عندى هنا نسخة من التحقيق معها . أظن أنك قد تهتم بها . اليوم التاسع ... اليوم العاشر ... نعم . ها هى . هذه المرأة « لوشنكو » كانت عجيبة . تلك المخلوقات النحيلة الرقيقة أحيانا تقاوم حقا . اسمع ! **يقرأ** . « المحقق : بأمر من ؟ » لوشنكو : « لا أحد .... »

صورة ((لوبا)) تظهر فى الفضاء ، منحنية ، غارقة فى الألم . تهز رأسها فى بطء ، تحرك شفتيها فى صمت أولا ، ثم يصبح صوتها المرتعش مسموعا بصعوبة ، ثم يقوى ، ثم ينتهى الى الارتفاع على صوت ((جليتكين)) والحلول محله . ((جليتكين)) يستطرد فى قراءة النص.

لوبا : لا أحد ... قلت لك مائة مرة أنه لم تكن ثمة أوامر.

جليتكين : كفاك كذبا .

لوبا : مهما قلت لك فانك لا تصدقنى ! يا الهى ! كم أنا متعبة .

جليتكين : أريد الحقيقة .

لوبا : قلت لك الحقيقة ، مرارا وتكرارا . كم أنا متعبة . أنا لا أستطيع ...

جليتكين : من أصدر اليك تلك الأوامر ؟

لوبا : لا أحد .

جليتكين : هل قمت بالتخريب بغير أوامر ؟

لوبا : لا ، لا ، لا . انك تحرف كلماتى .

جليتكين : هذا ما جاء على لسانك .

لوبا : لم أقل ذلك ! انا قلت اننى لم أفعل تلك الأشياء ، وان أحدا لم يأمرنى بأن أفعلها .

جليتكين : لدينا جميع الأدلة .

لوبا : ما الذى تحاول أن تجعلنى أقوله ؟

جليتكين : كفاك حماية « لروباشوف » !

لوبا : أنا لست أحمى أحدا .

جليتكين : ٮ تغطين « روباشوف » .

لوبا : ان رجلاً مثله ليس بحاجة الى حماية . ان رجلا مثله ...

جليتكين : كنت تنامين معه ، أليس كذلك ؟

لوبا : لقد أحببته .

جليتكين : أحببته ؟

لوبا : نعم .

جليتكين : أتفعلين أى شىء يطلبه منك ؟

لوبا : ما كان ليطلب الى أن أرتكب جرائم .

جليتكين : أيتها الغبية ! هذا الرجل قد استغلك .

لوبا : لا !

جليتكين : لقد جعل منك مغفلة .

لوبا : لا !

جليتكين : والآن وانت فى حاجة اليه ، أين هو ؟ أين هو ؟

لوبا : يا رب ، يا رب ، اصرفهم عنى !

جليتكين : الرب قد مات ، يا لوبا لوشنكو ! الرب مات .

لوبا : ماذا تريد منى ؟

جليتكين : « روباشوف » يجعلك مسئولة عن جريمته .

لوبا : هذا غير صحيح .

جليتكين : استعملى عقلك ! انه رفض أن يشهد فى صالحك

لوبا : أنا لا أصدق ذلك .

جليتكين : ها هى الأدلة ! انظرى ، انظرى !

لوبا : أنا لا أريد أن أنظر .

جليتكين : طلب منه أن يشهد ولكنه رفض .

لوبا : أنا لاأصدق ذلك . أنا لاأصدقك .. لاأصدقك.. !

روباشوف **وهو يحدق فى الفضاء ، يغمغم** : لم يكن لى أن أختار ، يا لوبا . ألا تفهمين ؟ لم يكن لى أن أختار . ما كنت أستطيع أن أنقذك . لقد كان ذلك فخا للقضاء على مكانتى . **((السكرتيرة)) تنهض ، تميل الى الأمام لتلتقط كلمات ((روباشوف)) وتكتبها** : حاولت ! ذهبت الى كل مكان ـ الى أصدقائى أصحاب المناصب العالية . قالوا لا . لن يفيد شىء .

جليتكين **يستطرد فى القراءة** : انقذى نفسك . هذه آخر فرصة أمامك ، يا لوبا لوشنكو ! اعترفى بهذه الأعمال التخريبية .

لوبا : لا أستطيع الاعتراف بهذه الأعمال ، لأنه لم تكن هناك أعمال . لم يحدث تخريب . كان هناك فقط رجال متعبون ورجال مرضى ورجال خائفون .

جليتكين **يلطم يده وهو يقرأ** : ايتها الكلبة الغبية ! **صورة ((لوبا)) تتراجع كما لو كانت اللطمة قد أصابتها .** حسن جدا . اذن فسوف تضربين بالنار فى مؤخر رقبتك !

لوبا : ماذا تفعلون بنا ؟ ماذا تفعلون بنا ؟ اننا لسنا أحجارا ، اننا لسنا آلات ! اننا بشر . اننا نشعر ،

انا نفكر ، اننــا نرى ، اننا نحلم ، نحن بضعة من « الرب » . لماذا فعلتم ذلك بنا ؟ تقولون ان « الرب » قد مات ولكنكم صنعتم لأنفسكم الها من الظلام ، من التعاسة ، من الأكاذيب ، من الألم ! لماذا ؟ لماذا صنعتم ذلك بنا ؟

روباشوف **يقف وقفة غير ثابتة ، يحدق فى الفضاء ، وينادى :**
لم تكن هذه هى الطريقة الواجبة .

جليتكين ينظــر بسرعة الى « روباشوف » الذى لم يعد يشــعر بما حوله ، يومىء الى « السكرتيرة » فتنهض وتميل أكثر نحو « روباشوف » وهى تكتب كلماته .

لوبا : لقد صنعتم سجنا . . من بلادنا الجميلة ـ سجنا .

روباشوف : أردنا أن نبنى دنيا جديدة أفضل .

لوبا : لقد قيدتم شعبنا بالأغلال . الأغلال ، فى قلوبهم ، وداخل جماجمهم . لماذا ؟ لماذا ؟

روباشوف أنا لست أفهم لمــاذا ، أنا نفسى . أن مبادئنا كانت سليمة .

لوبا : ان شعبنا أشد تعاسة منه قبل « الثورة » .

روباشوف : لقد شخصنا المرض ، ولكن حيثما وضعنا مبضع الشفاء . . .

لوبا : ان شعبنا تغطيه القروح .

روباشوف : كانت نيتنا صافية. كان يجب أن يحبنا الشعب . .

لوبا : انه يكرهكم !

روباشوف : لمــاذا ؟ ترى لماذا نحن مكروهون الى هذا الحد ؟ لقد جئنا بالصدق .

لوبا : فى أفواهكم يصبح كل شىء كذبا .

روباشوف : لقد جئنا بالحياة الحية النابضة .

لوبا : ان الأشجار فى الغابة تذوى .

روباشوف : كنت أغنى غناء الأمل .

لوبا : السنتكم تتلعثم وتنبح .

روباشوف : نعم ، نعم ، ولقد قادتنى كل الحوادث فى النهاية الى هذه المغامرة الشيطانية ، لماذا ؟ لماذا ؟

لوبا : كوليا ! كوليا ، حبيبى ! حيثما كنت .. **تختفى ولا يبقى منها الا صوت يسمع صائحا** : « كوليا ! كوليا » .

روباشوف : لوبا ! لوبا ! ماذا فعلت أنا ؟ ماذا فعلت ؟ **يهمس** : أنا مذنب ، مذنب ، مذنب ! ثم ، **بكل بساطة** : سيغمى على . **ينزلق برفق وفى هدوء الى خارج الكرسى ويسقط الى الأرض .**

جليتكين **يدق الجرس ليحضر زميله ، يصوب أصابعه نحو « السكرتيرة »** : النوشادر ! **« السكرتيرة » تندفع عبر الغرفة الى المنضدة ، تفتح درجا تستخرج منه زجاجة نوشادر وتسلمها اليه . « جليتكين » ، على ركبة واحدة ، يضرب وجه « روباشوف » براحته ويقرب من أنفه المادة المفوقة . الباب يفتح على أوسعه ويدخل « المحقق » الآخر .**

جليتكين **يومىء ، مشيرا الى « روباشوف » الذى تكوم جسمه** : لقد وقع فى أيدينا . وجدنا ذراع الآلة . **أبخرة النوشادر الحادة تبدأ فى احياء « روباشوف » .** أوقفه على قدميه ! **المحقق الآخر يرفع «روباشوف» ويوقفه على قدميه ثم يمسك به فى ذلك الوضع ، لينا كدمية من الخرق . « جليتكين » يحرك النوشادر**

تحت أنفه حتى يستجيب ، ثم ، يضع يدا ضخمة برفق على كتفه ، ويتحدث خافتا ، كان كلماته قبلات . لم تأكل طعامك اليوم ، أيها الرفيق روباشوف ! هل تريد شيئا من الحساء الساخن ؟

روباشوف **يغمغم** : أنام . أريد أن أنام .

جليتكين : أنت تفهم أيها « الرفيق روباشوف » ما يتوقعه « الحزب » منك ؟

روباشوف : نعم .

جليتكين : هذه آخر خدمة يمكنك أن تؤديها « للحزب » .

روباشوف : يجب أن انام . أنام .

جليتكين : حسن جدا . **للحارس** . عد به الى زنزانته . **« لروباشوف » ، برفق** : سأعمل على ألا يزعجك أحد .

روباشوف **كالطفل ، باندفاع** : أشكرك ، أيها الرفيق «جليتكين» . **« الحارس » يأخذ روباشوف خارجا .**

جليتكين **« للمحقق »** : بعد عشرين دقيقة تماما ، أيقظه ، وعد به الى هنا . سأحقق معه الى منتصف الليل وبعد ذلك تتسلمه أنت حتى الخامسة صباحا ، ثم أتسلمه منك لأعود للتحقيق معه . **يقرب ما بين جفونه ، لينتقى الضوء الباهر** . هذه « اللوشنكو » ـ انها ذراع الآلة . أدرها فى بطنه . وعد اليها دائما . ليس الموضوع الآن الا مسألة وقت . **المحقق يومىء ، يتحسس ظهره الذى يؤلمه ، ينصرف ، وهو يتثاءب . « جليتكين » يطفىء الضوء المعمى بحركة خاطفة .**

السكرتيرة : اهنئك ، أيها الرفيق جليتكين .

جليتكين **يجلس الى مكتبه ، يمد رجليه ، مسروراً :** ليست الا مسألة تكوين بدنى .

المنظر يبهت . ترتفع الأضواء . المحكمة العليا لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية . وهذا المنظر ذكرى اخرى تطوف بذهن «روباشوف» الذى يسرح مع الافكار بعد أن وقع الحادث . « الرئيس » غارق فى ضوء حار ابيض ، يجلس الى مائدة طويلة مغطاة ، والى يساره قضاة ثلاثة ، والى يمينه ثلاثة آخرون . والباقون أشكال أشباح .

الرئيس : أيها الرفاق القضاة ، لقد سمعتم أقوال الشهود ضد « المواطن روباشوف » . والرفيق « النائب العام » لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية قد لخص الاتهام . أيها « المتهم روباشوف » ، تقدم !

« روباشوف » يظهر فى الضوء الأبيض أمام مائدة الرئيس . « الحارس » يحضر ميكروفونا وينصبه أمام « روباشوف » . المتهم « روباشوف » يمكنه أن يقدم دفاعه الأخير .

روباشوف **ينحنى قليلا ، ويتحدث الى الميكروفون ، بصوت ميت :** أيها المواطنون القضاة . أنا ، والعار يغطينى ، وقد تمرغت فى التراب ، وعلى وشك الموت ـ أرجو أن تدعونى أخدم غايتى الأخيرة . دعوا تاريخى البشع يثبت كيف أن أيسر انحراف عن سياسة «الحزب» لابد من أن ينحدر حتما بالمرء الى عصبة المناوئين للثورة . اذا سألت نفسى اليوم ، « لأى شىء سأموت » واجهنى عدم مطلق لذلك ، وانا على عتبة ساعتى الأخيرة ، فانى أركع لوطنى ولشعبى . لقد

انتهت التمثيلية السياسية ، وكنا أمواتا قبل أن يطلب رؤوسنا « المدعى العام » بزمن طويل . وبهذا ينتهى واجبى . لقد دفعت كل ديونى . وطلبى الرحمة لن يبعث الا الاحتقار . يجب أن تكرهونى ، ويجب أن تقتلونى ! ليس لدى مزيد من القول .

يقف منكس الرأس . « الحارس » يزيل الميكروفون.

الرئيس : سأعلن حكم الهيئة العسكرية للمحكمة العليا . **يقرأ** . « الحكم : حكمت الهيئة العسكرية بالمحكمة العليا لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية على نيقولاى سيمونوفتش روباشوف ، بالاعدام رميا بالرصاص، ومصادرة جميع ممتلكاته الشخصية. . »

صوته ينسحب بعيدا . وتخفت الأضواء . وتختفى المحكمة . لا يبقى سوى « روباشوف » ، جالسا فى زنزانته ، وقد غلفه التفكير ، رأسه بين يديه ، وجبهته تغضنت ، وقد هرم وجهه واتخذ لون الرماد ، كما لو كان دمه قد صفى منه . يسمع دق فى الخاج . « ٤٠٢ » يبدو فى المنظر ، يدق ثلاثا ، وينتظر ، ثم يكرر الدق ، برفق .

روباشوف **يخرج من حلمه ، ينهض فى ضعف ، ينتقل الى الحائط فى خطوات غير ثابتة ، يدق** : نعم ؟

٤٠٢ **يدق** : ظننت أن « ٣٠٢ » سلك سلوكا طيبا . لقد ذهب كرجل شجاع .

روباشوف **يدق** : نعم .

٤٠٢ **يدق** : ما زالت لديك عشر دقائق . ماذا تصنع ؟

روباشوف **يدق** : أفكر .

٤٠٢ **يدق** : التفكير سيىء ! أنك لن تبدو جبانا ! اننا

نعرف أنك رجل . رجل ! **سكتة** . أما زلت تذكر « نهدان مستديران كأنهما كأسا شمبانيا ! » ها ! ها ! اى رجل انت ! **روباشوف يتسمع صوتا فى الدهليز .** ((٤٠٢)) **يستشعر أفكاره** . لا تستمع . سأخبرك فى الوقت المناسب ، عند ما يحضرون . **سكتة** . ماذا تصنع لو نلت عفواً ؟

روباشوف **يفكر ، يدق** : اذن كنت أدرس الفلك .

٤٠٢ **يدق** : ها ! ها ! وأنا أيضا ، ربما . ولكنهم يقولون ان النجوم الأخرى قد تكون مأهولة هى أيضا . وهذا ما يفسد الأمر . **سكتة** . أتريد أن أقدم اليك نصيحة ؟

روباشوف **يدق** : نعم .

٤٠٢ **يدق** : ولكن لا تفهمها خطأ . انها اقتراح فنى لمحارب قديم . افرغ مثانتك . هذا أفضل دائما فى مثل هذه الحالة . الروح قوية ، ولكن الجسد ضعيف . ها ! ها !

روباشوف **يبتسم ، يدق** : شكرا . **سكتة** .

٤٠٢ **يدق** : ولماذا تدرس الفلك ؟

روباشوف **يدق** : عند ما كنت صبيا ، كنت أحب أن أراقب النجوم . أردت أن أحل لغز الكون .

٤٠٢ **يدق** : لماذا ؟ حدثنى .

روباشوف **لنفسه** : قرأت أخيرا أنهم اكتشفوا أن الكون محدود . بعد أربعين عاما أقرأ هذا القول . ولو أن « المدعى العام » كان قد سألنى « أيها المتهم روباشوف ، ما هو اللانهائى ؟ » لكنت عجزت عن الاجابة . ربما كانت هنا جريمتى الحقيقية .

٤٠ **يدق** : لقد فات وقت الانشغال بالجريمة .

وباشوف **يدق** : كيف يمكنني أن أموت حتى أعرف ما أموت من أجـله ؟ **سـكتة . يدق** : آسف ! قل لى ما هى مشروعاتك ؟

٤٠١ **يدق** : ثمانية عشر عاما أخرى . ليس تماما . ستة آلاف وخمسمائة وثلاثون يوما ، فحسب . **سكتة** . فكر فى ذلك . ستة آلاف وخمسمائة وثلاثون يوما أخرى بغير امرأة . انى لأغبطك حقا . ان مخى يتحول الى ماء . لقـد عدت الى عادات طفـولتى . لقد كرهتنى نفسى !

روباشوف **للحائط** : أيها الشيطان المسكين ، المسكين ! **للسجن كله ، لروسيا جميعا** . كلكم ! أيها المـائة والثمانون مليـونا من رفاق سجنى ، ماذا فعلت بكم ؟ ماذا خلقت ؟ اذا كان «التاريخ» كله حسابا ، ياروباشوف، فأعطنى اذن مبلغـا قدره مائة وثمانون مليون حلم بشع . أسرع واحسب لى مائة وثمانين مليون نزعة بشرية مكبوتة . أين روح الانســان فى عـلومك الرياضية ، يا روباشـوف ؟ هل نسيت ، فى مبدأ الأمر ، ما كنت تبحث عنه ؟

وقع أقدام يرن فى الدهليز .

٤٠٢ **يدق** : انهم قادمون . وقع الأقدام يعلو . يا للعار ، كم كنا نتحدث حديثا لطيفا !

روباشوف **يدق** : انك ساعدتنى كثيرا . فشكرا .

٤٠٢ **يدق** : وداعا . انى أغبطك . انى أغبطك .

باب زنزانة روباشـوف يفتح على أوسعه بدفعـة تحدث صوتا عاليا . جليتكين يدخل .

جليتكين : عدو الشعب نيكولاى سيمونوفتش روباشوف .
هل لك اية رغبة اخيرة ؟
سكتة طويلة ..
روباشوف : واحدة . **يحاول أن يلتقى بعينى جليتكين** . لو أننى استطعت فقط أن أجعلك تفهم أين فشلنا فى مبدأ الأمر .
جليتكين : هذه هى كلماتك الأخيرة ، فلا تبددها .
روباشوف **مشبوب العاطفة** : انك لا يمكن أن تشيد « جنة » من الأسمنت . يا ولدى ....
جليتكين **سريعا ، وبقلة ذوق** : انا لست ولدك ...
روباشوف **بعد سكتة طويلة ، وفى حزن** : بلى ، انت ولدى . وهذا أبشع ما فى الأمر . **يهز رأسه ، بمرارة** . الوسائل أصبحت الغاية ، والأرض غطاها الظلام .
جليتكين : هل لك اية رغبة أخيرة ؟
روباشوف : أن أموت .

جليتكين يشير اليه آمرا أن يمشى . روباشوف يتحرك فى بطء الى خارج الزنزانة ؛ جليتكين يخرج مسدسه ، ويتبعه . « الحارس » يفتح بوابة القبو ، عمود من النور يسقط عليهم . « ٤٠٢ » يبدأ فى الطبل على الباب . من كل أرجاء السجن يأتى صوت الطبل الأجوف المكتوم ، ثم يعلو ، ويعلو ، بينما روباشوف وجليتكين يهبطان الدرج ، ويرتفع صوت البوابة الحديدية وهى تغلق خلفهما . صوت الطبل يبلغ قمته ، عند ما تسدل الستار .



تطلب مطبوعاتنا فى الخارج من

مكتبة المثنى ببغداد

المكتب التجارى ومكتبة المعارف ببيروت

دار الكتب الشرقية بتونس

مكتبة الثقافة بمكة

ومكتبة الفرجانى بطرابلس

مكتبة مصر بالكويت

2.52
552
Bibliotheca Alexandrina
07255599